من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله
عيد الغدير

في ذكرى الغدير

إبراهيم الكعبي •
العتبة العلوية المقدسة

بـدا لـيَ وجـهُـكَ الغالي مَنارا ... فأشغَلَني عـنِ الشمسِ ازدهـارا
وكنتَ البدرَ في ديجورِ تَيْميْ ... إذا ما تِـهْـتُ كنتَ لِـي المُشارا
فكنْ لِـيْ يـا أبـا حَـسَـنٍ جِـواراً ... فـإنّـي قـدْ وفـدتُ لَـكَ اختيارا
لأنـي بـحـرَ نـجـدةٍ مَـنْ أرجّـي ... إذا لـم آتِ بـابَـك مُستجارا
سماحاً إن شططتُ فـإن عَقْلي ... وقـولـي قـدْ يضيقانِ انحسارا
وكـيـف بمن إذا مـا ضـاقَ عنه ... كتابُ اللهِ أنْ يُحوى اختصارا
ولـكـنّـي أُسـجّـلُـهـا بشعري ... بـأنـي قـد جعلتُك لِـي شِـعـارا
ومـا آمـنـتُ إيـمـانـي جـزافـاً ... ولا أقـفـو لآبـائـي أثَـارا
ولـكـنَّ الـدلـيـلَ بـدا لعيني ... فجلّى عَـنْ بصيرتِها الغُبارا
غـداةَ وقـفـتَ يـومَ غـديـرِ خُـمٍّ ... وكـانَ الجمعُ يبغونَ السَّفارا
فـقـالَ مـحـمـدٌ والأمـرُ منه ... بـأمـرِ الـلـهِ أن يـقـفـوا نـهـارا
ومـا حَـشَـمَ الهجيرُ لَهُم كَبيراً ... ولا استثنى مِـنَ الأمـرِ الصِّغارا
ولا كـانَ الحجيجُ لهم شفيعاً ... ولا اتـخـذوا بـه مِـنـه سِـتـارا
وقـامَ مـحـمّـدٌ فيهم خطيباً ... وكالطّلَقاءِ قـد وقَـفـوا أُسـارى
أُسـارى الـحـقِّ لـمّـا عـايـنـوهُ ... برغمهموا قَـدِ امتثلوا اضطرارا
وفـيـهـم حـيـدرٌ واللـهُ يـدري ... وأحـمـدُ أنـهُ وقَـفَ اخـتـيـارا
ولـم يُفصِحْ لهم عمّا سيجري ... ولـم يَـكُ مُفشياً سِـرّاً تـوارى
لتكمُلَ حُـجّـةُ الـبـاري عليهم ... ويـذعِـنَ معشرٌ كـانـوا ضـرارا
ولا يَـدْعـونَ دبّـرهـا عليٌّ ... ليورَثَها كما ورِثَ الصِّهارا

مُحتَوياتُ العَدَد

كلمة العدد

الهجوم الشرس

المشرف العام ٨

قرآنيات

الفاصلة القرآنية.. طبيعتها الإيقاعية

د. زهير غازي زاهد ١٠

دلالة لفظة (ضيزى) في القرآن الكريم

هاشم جعفر الموسوي ١٨

آمن الرسول

مفهوم الغلو في أحاديث النبي(ص)

د. محمد جواد فخر الدين ٢٤

تخريج حديث (أنا مدينة العلم وعلي بابها)

علي الفحام ٣٠

استطلاع المجلة

مسجد البصرة الكبير

محمد الدراجي ٣٦

في رحاب الفقه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مد ظله) ٥٢

واحة الأدب

قصة قصيرة: المدير الجديد

بنت العـراق ٥٦

للفضيلة نجومها

الشيخ جعفر النقدي.. محاور مضيئة من السيرة العطرة

حيدر الجـد ٥٨

من علماء جبل عامل.. السيد حسن يوسف مكي

م. م. مجيد حميد الحدراوي ٦٤

ص٦٤

ص٧٨

ص٨٦

ص٥٨

ص٢٤

ص٩٦

إضاءات السيرة

مفاهيم في فكر أهل البيت(ع) (الزهد)

الحاج فلاح العلي ٦٨

قبسات من الملحمة الحسنية/ الحلقة ٢

مؤسسة تراث الشهيد الحكيم ٧٢

تحقيقات

أعلام من كربلاء.. السيد إبراهيم المجاب

سلمان هادي آل طعمة ٧٨

في النفس والمجتمع

العوامل المتحكمة في بناء الشخصية

أحمد حسين الزاملي ٨٦

طروحات عامة

العمود في العمارة الإسلامية

د. علي ثويني ٩٦

أزمة الاقتصاد الأمريكي

علي الفضل ١٠٧

علم التاريخ وأهميته في الحياة

الشيخ حسن كريم الربيعي ١١٤

بين الدين والسياسة

محمد دعيبل ١٢٠

النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية

د. حيدر نزار السيد سلمان ١٢٣

قصيدة: أسيادي

ضرغام البرقعاوي ٢٢

فهارس مجلة (ينابيع) ٩٠

أجوبة مسابقة العدد (٢٥) وأسماء الفائزين ١٢٨

مسابقة العدد (٢٧) ١٢٩

الهجوم الشرس

بسم الله الرحمن الرحيم

بات من الضروري لدى المنصفين من المسلمين وغيرهم أن الطائفة الشيعية طائفة مسالمة تدعو إلى رأب الصدع وتسوية الخلافات على طاولة البحث، والعمل على تغيير التراكمات بشكل شفاف هادئ من دون التنازل عن المبادئ العامة، ولدى تجربتهم المريرة التي خاضوها في الساحة العراقية اليوم شاهد على ذلك، حيث ارتسمت ملامح التماسك والتحلي بالصبر وغض النظر عن مساوئ الآخرين على واقعهم العملي في الميادين وفي أروقة المحادثات والمفاوضات مع الإصرار الشديد والتأكيد على الظلامات طوال العقود الطويلة من الزمن، ليثبتوا أن ذلك لم يكن من أسباب الضعف أو الجبن، بل تجربتهم الطويلة أكسبهم خبرة في مقارعة الظلم والتعسف والالتواء على واقعهم المرير، وغض الطرف عما لا يخدم قضيتهم ولا يصب في صالح مبادئهم الحقة التي ضحوا من أجلها كل غالٍ ونفيس، فهم المسالمون لمن سالمهم.

لكن ذلك وحده غير كافٍ لمنع الأيدي والألسن من الاعتداء عليهم والنيل منهم لما تتصف به قضيتهم الحقة من تعرية الآخرين، وكشف نوايا ضعاف النفوس، من رجال الطوائف الأخرى ممن انتسبوا إلى هذا الدين الحنيف. مما أدى إلى هياج العواطف ضدهم وتأجيج روح الغضب والعنف فيهم، حتى زجوا المفخخات والأحزمة الناسفة في صفوف هذه الطائفة.

وزاد ذلك من تصميم أبنائها بشكل يدعو إلى الفخر والاعتزاز لدى القيادات بل الأفراد، فكانوا لا يبالون بأي عقبة من العقبات يصطدمون ماداموا سائرين نحو هدفهم المنشود، الهدف الأسمى الذي رسمه لهم أئمة الهدى صلوات الله عليهم أجمعين، حتى ظهر الكثير منهم في وسائل الأعلام المرئية يصف إقدامه وتضحيته من أجل مبادئه، وأنه لا يبالي بما يلاقيه ما دام على الحق، وتكرر ذلك منهم في أكثر من موقف، فبات أعداؤهم

قلقين مؤرّقين من هذا التصميم اللامحدود، والتماسك المثير للدهشة، والباعث على إعادة الحسابات من جديد.

من هنا بدأت محاولات من نوع آخر ـ ما دام الإعلام تحت السيطرة والأُجَراء كثيرون ـ تمخضت المحاولات بتصريحات غير مسؤولة من أجل تأجيج الواقع العالمي عليهم، وإثارة النعرات في صفوف المسلمين بوصف الشيعة من معتنقي مذهب أهل البيت (صلوات الله عليهم) بأنهم خطر على الساحة الإسلامية، وتهديد مستمر لاستقرار المسلمين، وأنه لم تَحسِب الجهات المسؤولة أي حساب لهذا الخطر المحدق بالمسلمين، فجاءت هذه الدعوة لتثير الشحناء وتؤكد البغضاء وكأنها تدعو إلى اليقظة والحذر لتنبه الأمة إلى مخاطر هذا المدّ الخطير على حسب وصفهم.

ليت شعري متى كان الشيعة خطراً على المسلمين وقد عرفت ـ لدى الجميع ـ مواقف أئمتهم وساداتهم في حفظ الإسلام والمسلمين على طول تاريخهم الطويل، وقد عرف الشيعة في سيرهم على نهج أئمتهم (عليهم أفضل الصلاة والسلام). ومتى خرج الشيعة من طوق مرجعياتهم وتوجيهاتهم الدينية حتى يخشى منهم بهذا الشكل، ويوصفون بهذه الأوصاف التي لا تناسب إلا المدّ التتري أو المغولي الذي لاقى منه المسلمون أشد أنواع الظلم والجور.

مع أن طول تاريخ التشيع يشهد بخلاف ذلك، لما عرف الشيعة من خدمتهم وتضحياتهم الجسام من أجل المبادئ الدينية الإسلامية والإصرار عليها حتى جنى المسلمون من ذلك المكاسب الجليلة ولا ينكرها إلا مكابر. إلا أن السبب قد يعزى إلى أمرين:

الأول: أنه يكشف عن الهزيمة الكبيرة التي مُني بها أعداؤهم حيث كان هدفهم تحجيم النشاطات وقد عملوا جاهدين طوال فترة ليست بالقصيرة حتى إذا فشلوا في ذلك، بدؤوا يعملون بطريقة أخرى وهي تشويه الصورة بهذا الشكل الإعلامي المشين.

الثاني: أن النظر الدقيق وحساب الأمور بنحو موضوعي يرجع ذلك إلى قضية طالما أرّقت الأطراف المعادية حتى ظهرت على ألسنتهم في مواطن مختلفة، وهي دعوة الطائفة إلى اتباع أهل البيت عليهم السلام الذين نحتهم السلطة عن مقامهم الرفيع الذي اختاره الله لهم، وهذه الدعوة تؤرق الأطراف الأخرى لما تتضمنه من كشف أسرار الماضي، وظلم السلطة المعتدية على المنصب، لتبقى عارية عن الشرعية، ولا يخفى ما لذلك من الوهن على الأسس التي بنيت على أساس شرعية السلطات الماضية وأصبحت هي الممثل للإسلام العالمي ■

المشرف العام

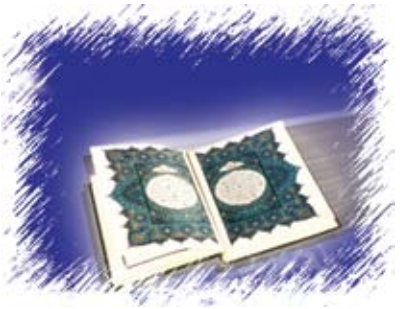

الفاصلة القرآنية.. طبيعتها الإيقاعية

د. زهير غازي زاهد •
كلية الآداب/ جامعة بغداد

ينابيع
لقد قرئ القرآن قراءات مختلفة ومنوعة منذ نزوله حتى هذا العصر. فقد قرئ نحوياً في كتب إعراب القرآن وقرئ لغوياً في كتب مجاز القرآن وغريبه وقرئ دلالياً في كتب معاني القرآن وتأويله، وقرئ قراءة شاملة في كتب التفسير على اختلاف مذاهبها وأساليبها، وقرى صوتياً في كتب قراءات القرآن كما قرئ بلاغياً في دراسة أساليبه الفنية، ودراسة الفواصل هنا تتصل بظواهر نصه الإيقاعية والدلالية.

فالقرآن نص خالد والنص الخالد يكون مفتوحاً لقراءات منوعة إبداعية في العصر الواحد أو على مر العصور على أن تكون القراءة خلافية لا قراءة مضادة، وهو كما وصفه الإمام علي عليه السلام في قوله: (لا تفنى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد)[1].

القرآن يرتل ترتيلاً ويجود قارؤه ويترنم في قراءته و(الترتيل معرفة الوقوف وتجويد الحروف)[2] ففي قراءته قدرة على التأمل والتطريب لما في قراءته نظمه من الإيقاع والموازين التي تظهر

للقارئ المتأمل في نظم حروفه وتركيب كلماته وفواصله التي هي أواخر آياته وهي موضع الوقف عند قراءته.

ما هي الفاصلة القرآنية؟ وما الفرق بينها وبين السجع في النثر والقافية في الشعر؟

عرف أبو الحسن الرماني(٣٨٦هـ) الفاصلة قائلاً: (حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني... والفواصل بلاغة والأسجاع عيب)[٣] فهو يرى أن السجع تتبعه المعاني فهو الذي يقصد في نفسه ثم يحمل المعنى عليه، والفواصل تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها، وقد ذهب هذا المذهب أبو بكر الباقلاني وأصحابه (٤٠٣هـ)[٤] وعرف بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ) الفاصلة: (هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع)[٥].

والسجع في عرف ابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ): (تماثل الحروف في مقاطع الفصول)[٦] وعرفه ابن الأثير (٦٣٧هـ) بأنه (تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد)[٧].

فالتعريفات متقاربة والمفهوم مختلف بين أصحاب إعجاز القرآن وبين البلاغيين. فأصحاب الإعجاز أرادوا

أن يخصصوا للقرآن الكريم مصطلح الفواصل، ولما كان قسم من الفواصل القرآنية توافق السجع جعلها البلاغيون سجعاً، ويصر الباقلاني على نفي السجع في القرآن قائلاً: (ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز... والذي يقدرونه أنه سجع فهو وهم، لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وأن لم يكن سجعاً... لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع...)[٨] وذلك ما سبق في كلام الرماني.

فالفواصل وتشاكل مقاطعها جزء من الإيقاع في النص القرآني والإيقاع من خصائص النثر الفني وهو يختلف عن الإيقاع في النص الشعري ففي النثر يكون إيقاعاً متوازياً متوازناً غير مطرد في المقاطع اللغوية. أما النص الشعري فيكون الإيقاع فيه متتابع المقاطع مطرد الإيقاع حتى يتألف الوزن الشعري ويختم البيت بكلمة القافية التي هي خاتمة للإيقاع الموزون في البيت، والحرف الملتزم المتكرر في قافية القصيدة يتوالى ويتكرر حتى نهاية أبيات القصيدة كالسجع الذي يتوالى في نهاية الجمل النثرية وكالفاصلة التي هي في نهاية الآية، لكن السجع والفاصلة قد يتكرر فيهما الحرف الملتزم وقد لا يتكرر فلكل نوع من هذه الأنواع مصطلح اختص به ولا يعدم التشابه بينهما في تشاكل المقاطع كما لا يعدم الخلاف في أشياء منها كما سيتضح[٩].

والعرب قد عرفت الفصاحة والشعر والخطب كما عرفت السحر وسجع الكهان لكنها حين سمعت نصوصاً من القرآن يقرؤها الرسول ﷺ انجذبت إليها وذهلت بها غير أنها حارت بحكمها عليها فما كان يقرؤه الرسول وتسمعه ليس شعراً لكن فيه إيقاع الشعر وما يشبه القوافي ولجاذبية بيته لسامعه فيه تأثير السحر. وفواصله فيها شبه من سجع الكهان لكنها ليست إياها وليس فيها الغموض الذي في سجع الكهان، فمن آمن بالدعوة الجديدة آمن بأنه منزل من عند الله إلا أنّ مشركي قريش وهم أهل فصاحة وخَطابة كانوا يفزعون إلى شيوخهم في الفصاحة كما فزعوا إلى الوليد بن المغيرة فتداولوا معه في أمر النبي ﷺ قرب موسم الحج وكيف يفرقون الناس عنه ويقنعونهم لينفضّوا منْ حوله، فقالوا: نقول هو مجنون، فقال لهم: يأتونه فيكلمونه فيجدونه صحيحاً فصيحاً عادلاً فيكذبونكم. قالوا: نقول هو شاعر، قال: هم العرب، وقد رووا الشعر وفيهم الشعراء وقوله ليس يشبه الشعر فيكذبونكم. قالوا: نقول كاهن، قال: إنهم لقوا الكهان فإذا سمعوا قوله لم يجدوه يشبه الكهنة فيكذبونكم ثم انصرف عنهم إلى منزله، فشكّوا به فقالوا: صبأ الوليد - أي

أسلم - وهم يخشون أن يسلم كبير منهم فيتبعه الناس، فأتاه ابن أخيه أبو جهل بن هشام بن المغيرة فأخبره بشك قريش به فأتاهم الوليد يلومهم على شكهم به ويلومهم على اتهام محمد بما ليس فيه ولا يصدقهم الناس بتهمته بالجنون أو الكهانة أو الشعر، فقالوا: فكيف تقول يا أبا المغيرة؟ قال أقول هو ساحر. قالوا وأي شيء السحر؟ قال قد يكون ببابل من حذقه فرّق بين الرجل وامرأته والرجل وأخيه - وحديث آخر لعتبة بن ربيعة إذ جاء إلى النبي يعرض عليه أموراً ليختار منها: المال أو الرياسة أو الجمال... فلما انتهى من قوله قال له رسول الله: فاسمع (بسم الله الرحمن الرحيم. حم تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ)، (سورة فصلت/ ١-٤)، ثم مضى في قراءتها وأنصت عتبة له وهو باهت، فلما عاد إلى أصحابه أحسوا بتغيره فلما سألوه ما وراءك؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت بمثله قط وما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة. يا معشر قريش، أطيعوني، خلو بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه[١٠]... فما كان جوابهم إلا أن قالوا: سحرك بلسانه.

لقد كان للسانه ولما قرأه تأثير في نفس سامعه دفعه إلى تصديق غرابة هذا القول حتى على فصحاء العرب ما جعل قومه يتصورونه سحرًا.

وحكاية أخرى في حديث أبي ذر الغفاري مع أخيه أنيس حين عاد من مكة وقد لقي النبي وسمع شيئاً من القرآن، وسمع الناس يصفون الرسول بالساحر، قال أنيس: تالله لقد وضعت قوله على أقراء[١١] الشعر فلم يلتئم على لسان احد وقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم.

ورُوي عن الوليد بن عقبة اذ سمع الرسول يقرأ: (إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (سورة النحل/٩)، فقال: (والله إنّ له لحلاوة وانّ عليه لطلاوة وانّ أسفله لمعذق وانّ أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر)[١٢].

كان هذا الإحساس والتصور لما في بنية الجملة القرآنية من حلاوة النغمة في تجويده وترتيله في راءته[١٣]، ولما يظهر الترتيل إمكان إيحاءات أصواته وتأثيرها في نفس السامع جاءت الآية (ورتل القرآن ترتيلًا) (سورة المزمل/٤)، وقول عبد الله بن مسعود: (جوّدوا القرآن وزيّنوه بأحسن الأصوات)[١٤] وأقوال أخرى في هذا المجال... تظهر الإبداع فيما امتازت عبارته بهذا الإيقاع الذي يتوازن في جمله ويختم في فواصل آياته، وفواصل الآيات هي موضع الوقف فيه أيضاً، ليتخذ صوت القارئ المجوّد مجاله في تلوين قراءته. فالفاصلة جزء من الإيقاع في الآية، ولّما كان النص القرآني احتوى كل ألوان الفصاحة لدى العرب ليتحداهم. فكل لون من ألوان الفصاحة والإبداع قد يجيده أديب واحد في الشعر أو النثر، فالشاعر قد يجيد القول في الوصف أو المديح أو الغزل أو الشكوى.. وكذا الخطيب أو الكاهن يجيد نوعاً من المعاني وأسلوباً من القول، فالخطيب في إجادة جمله وإيجازها والكاهن في تسجيعها وما يحيط بها من غموض... لكن القرآن

الكريم احتوى كل هذه الإجادات في معانيه التي شملت الحياة وما بعدها، وفي أساليب تعبيره وألوان ما تحتويه من بعض صفات الشعر كالفواصل التي تشبه قوافيه وكالإيقاع المتوازن الذي له شبه بإيقاع الشعر الموزون أحياناً لكنها لا تطابق قوافي الشعر ثابتة في نهاية كل أبيات القصيدة وهي جزء مما سمي بعمود الشعر فإذا اختلف حرف الروي الملتزم عُدّ عيباً في القافية لكن الفواصل ليست كذلك ثم شبّه الفواصل بالسجع لكنها اختلفت عن سجع الكهان الغامض من جهة والمتكلف الممل في كثرة تكراره، وكأنه هو المقصود، أما السجع في الفواصل فقد جاء من دون تكلف لأنه تابع للمعنى مكمل له وتزيين لإيقاع عبارته أو هو لم يكن سجعاً لازماً بالمعنى البلاغي أي تكرار أصوات بعينها وإنما يكون سجعًا في إيقاعه وموازنته أي تكون الفاصلة في وزن سابقتها الصرفي، كما سيأتي بيانه في أنواع الفواصل.

هذا ما جعل العرب يواجهون الرسول في بداية دعوته واصفين إياه بالشاعر أو الكاهن أو الساحر فلما لم يجدوا صدقاً في وصفه بالشاعر والكاهن تمسكوا بوصفه بالساحر لما في القرآن الكريم من جاذبية في سماعه تسحر سامعه وتبهره فيروح متأملاً معانيه الجديدة وأساليبه الجديدة أيضاً، فهو قد تضمّن أنواع إبداع النصوص الفنية في نضجها .

لقد نفى القرآن الكريم السحر والشعر والكهانة عن الرسول، فنفى السحر بقوله تعالى: (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) (سورة المدثر/١٨-٢٥)، ونفى صفة الشعر بقوله: (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ) (سورة الحاقة/٤١-٤٢)، وقوله: (وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...) (سورة الشعراء/٢٢٤-٢٢٧).

ونفي عنه الكهانة في الآية السابقة وفي قوله: (فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ) (سورة الطور/٢٩).

إن أصحاب الإعجاز ميزوا مصطلح الفاصلة في القرآن الكريم عن السجع في النثر ولم يسمّوا ما تماثلت حروفه سجعاً رغبة في تنزيه القرآن الكريم عن الوصف اللاحق بغيره من كلام الكهنة وغيرهم، والحق أن لا فرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره من الكلام في كونه مسجوعاً ولا فرق بين الفواصل التي تماثلت حروفها في المقاطع وبين السجع إذا لم يكن كله مسجوعاً.

فالقرآن الكريم نزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعاداتهم وكان الفصيح من كلامهم لا يكون كله مسجوعاً لما

في ذلك من التكلف والاستكراه والتصنّع ولاسيما فيما يطول من الكلام، كما ذهب ابن سنان[١٥].

وعلى عكس ذلك يقف الباقلاني في قوله: (والذي يقدرونه انه مسجّع فهو وَهْمٌ لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وان لم يكن سجعاً) وقد روى قول الرسول لمن خاطبه في شأن دية الجنين بكلام مسجوع: (أسجعاً كسجع الكهان؟) ثم قال: (وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر، لأن الكهانة تنافي النبوات وليس كذلك الشعر)[١٦] لذلك جاء قول الرماني: (الفواصل بلاغة والسجع عيب).

لكننا نرى السجع جاء في القرآن الكريم حتى تأتي السورة كلها مسجوعة (كسورة الرحمن) و(سورة القمر)، وكذا جاء في كلام الرسول صلوات اللّه وسلامه عليه، وكذا في كلام الصحابة وخطبهم.

أما قولي في الفواصل فهو أقرب إلى قول البلاغيين في أنّ قسماً منها كان سجعاً باعتبار أن السجع تماثل الحروف في مقاطع الفواصل، ولا أرى فائدة مما ذهب إليه الرماني والباقلاني وأضرابهما في إن السجع عيب، وهما يؤكدان أنّ قسماً من الفواصل سجع ولكنهما ينكران هذا المصطلح فيها تنزيهاً للقرآن الكريم. أليس القرآن الكريم نزل بلغة العرب وتحدى فصحاءهم أن

فضل القرآن الكريم

عن السكوني، عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أيها الناس إنكم في دار هدنة، وأنتم على ظهر سفر، والسير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، فأعدوا الجهاز لبعد المجاز.

قال: فقام المقداد بن الأسود فقال: يا رسول الله وما دار الهدنة؟

قال: دار بلاغ وانقطاع، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع، وماحل مصدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدلّ على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة فليجل جال بصره وليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب، ويتخلص من نشب، فإن التفكر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص».

الكافي ٢/ ٥٩٩

يأتوا بمثله؟ (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) (سورة الإسراء/٨٨)، وقوله: (...فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ...) (سورة البقرة/٢٣).

كان هذا التحدي بالإتيان بمثله في تراكيبه ونظمه ومعانيه وغاياته على الرغم من أنه نزل بلغتهم وبما ألفوه من الفصاحة والبلاغة غير أنه جاء على غير ما ألفوا من نظم وتركيب، لأنه احتوى على كل فنون الفصاحة والنظم والتركيب للتعبير. فلماذا ننكر السجع في قسم من فواصله؟ فالبلاغيون لا يجعلون الخلاف بين مصطلحي فواصل وأسجاع بل سجع بليغ وآخر متكلف. فالسجع البليغ ما يطلبه المعنى ويستدعيه ومنه فواصل القرآن[١٧] ■

---

(١) سنن الترمذي (كتاب ثواب القرآن ـ باب ما جاء في فضل القرآن)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/٢٨٨.

(٢) هذا القول للإمام علي عليه السلام. البرهان للزركشي ١/٢٢٥، النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/٢٠٩.

(٣) النكت في إعجاز القرآن (في ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ص٩٧.

(٤) انظر: كتابه إعجاز القرآن، ٥٧.

(٥) البرهان في علوم القرآن، ١/٨٣.

(٦) سر الفصاحة، ابن سنان، ١٦٣.

(٧) المثل السائر، ١/٢٧١.

(٨) إعجاز القرآن، ص٥٧ و٥٨.

(٩) حينما نذكر القافية في مقابل الفاصلة هنا نعني بها القافية الموحدة في الشعر العربي أما في عصرنا هذا فقد فَقَدَ الشعر وحدة القافية بل فَقَدَ وحدة الوزن و تتابعه أيضًا وقارب النثر في القصيدة الإيقاعية التي يطلق عليها مصطلح (قصيدة النثر) تأثراً بالمصطلح الغربي.

(١٠) انظر: الرسالة الشافعية، عبد القاهر الجرجاني (في ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ص١٢٢-١٢٥، وانظر: سيرة ابن هشام، ١/٢٧٠.

(١١) أي: طرق الشعر وقوافيه.

(١٢) الرسالة الشافعية، ١٢٤-١٢٥، دلائل الإعجاز، للجرجاني، ص٣٨٨ وروي هذا الوصف للوليد ابن المغيرة في سيرة ابن هشام، ١/٢٧٠.

(١٣) الترتيل كما روي عن الإمام علي عليه السلام: (معرفة الوقوف وتجويد الحروف) النشر في القراءات العشر، ١/٢٢٥

(١٤) النشر، ١/٢١٠.

(١٥) سر الفصاحة، ص١٦٦ وقد ذكرت ابن سنان يعرّف الأسجاع: (حروف متماثلة في مقاطع الفصول).

(١٦) انظر: إعجاز القرآن، ص٥٨. ولابن الأثير كلام لطيف في هذا المجال قال: (لو كره النبي صلى الله عليه وسلم السجع مطلقاً لقال: أسجعاً؟ ثم سكت... نعلم أنه إنما ذم من السجع ما كان مثل سجع الكهان لا السجع على الإطلاق) [المثل السائر ١/٢٧٣، وانظر: كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص٢٦١.

(١٧) انظر: أسرار البلاغة، للجرماني، ص١٠، كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص٢٦٠، سر الفصاحة، ص١٦٣، ١٦٤، الإعجاز البياني للقرآن، بنت الشاطئ، ص٢٥٨.

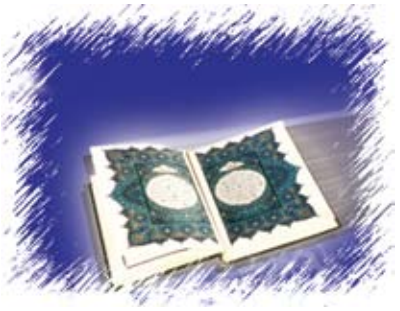

دلالة لفظة (ضيزى) في القرآن الكريم

هاشم جعفر الموسوي •
كلية التربية/ جامعة بابل

ينابيع وصفت الآيات القرآنية (١٩-٣٢) من سورة النجم دأباً استحسنه المشركون، وهو بعيد كل البعد عن الحق، ذلك أنهم اتخذوا من دون الله أصناماً سموها باللات والعزى ومناة، وعبدوها لتقربهم إلى الله زلفى، زاعمين أن هذه الثلاث هن بنات الله، وقيل في سبب تسميتهم إياها: إنهم أرادوا أن يعظموا أسماءها، فسموا في مقابل (العزيز: العزى)، وفي مقابل (الله: اللات)، وفي مقابل (المنان: مناة)[1].

لقد حاجّ القرآن الكريم هؤلاء المشركين بأسلوب ساخر مبيناً جهلهم وتماديهم في الباطل، لأنهم يزعمون أن المؤنثات لله، وأن البنين لهم، يبطلون الفخر بذلك، فجاءهم الرد الإلهي: (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى) سورة النجم/٢١-٢٢، أي: أنتم تعطون المرذول في أنفسكم لله وتأخذون الجيد لكم، وهذا ما لا يفعله العقلاء الذين يقدمون للآلهة

أفضل ما عندهم لا الأدنى، وهؤلاء فعلوا العكس فكانت قسمتهم في غاية البعد عن الحق، كيف لا وهي قسمة الجهلاء!

ولو كان ـ سبحانه ـ ممن يجوز عليه الولد لما اختار الأدنى وترك الأفضل (لَوْ أَرَادَ اللّه أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَّاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللّه الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) الزمر/٤، فهذا على تقرير جواز اتخاذ الولد لا على تقرير صحة وقوعه، تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً.

لقد سفّه التنزيل العزيز أفكار هؤلاء فهم يزعمون أن البنت قيمتها دون قيمة الولد، ولو بشر أحدهم بالأنثى لاسود وجهه، وفي الوقت نفسه يجعل نصيب الله دون نصيبهم وهم يرون البنات عاراً وذلة ويئدونهن في القبر وفي الوقت ذاته يزعمون أن هذه الأصنام والأوثان ذات الأسماء المؤنثة بنات الله ويقدسونها ويلجأون إليها لحل مشاكلهم وهذا قمة التناقض والبطلان.

لقد تناول القرآن الكريم هذه

الخرافات مستهزئاً بها منكراً إياها، ونجد الأفكار في صدر هذه الآيات، قال تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ❖ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ❖ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى) النجم/١٩-٢١، فالهمزة في (أرأيتم)، (ألكم) استفهام استنكاري مشوب بالاستهزاء (الثالثة) وصف لمناة، أفاد التأكيد، لأنها لما عطفت على الاثنين قبلها علم أنها ثالثهما في العدد. (والأخرى) نعت أفاد ذم (مناة) وهي المتأخرة عما قبلها، لأن (الأخرى) يستعمل في الضعفاء، كقوله تعالى: (...قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ...) سورة الأعراف/٣٨، أي: ضعفاهم لرؤسائهم[٣]، ومع توالي النعتين (الثالثة، الأخرى) دل التركيب على تحقير شأن هذه الثلاثة معاً، فليست هي إلا مجموعة أسماء، زعم المشركون أنها آلهة في حين أنها من أذل المصنوعات وقد دل الوصف (الثالثة) على أن هذه الأصنام شأنها في الحسبان واحد وكل منها يثلث صاحبيه، ولما وصف المتأخر منها بوصف أفاد التحقير وصغر الشأن والضعف وهو (الأخرى) طغى هذا النعت على السابقين أيضاً، فضلاً عن هذه الثلاث المجموع بعضها إلى بعض بواو العطف، والحكم الواقع على إحداها يقع على الأخريين.

إن القارئ لتشده إلى بعض النص القرآني لفظة (ضيزى)، فقد صنف في ضمن الألفاظ الغريبة في القرآن، لأنها لم ترد فيه إلا في هذا الموضع، ولأن العرب قبل الإسلام لم يتداولوها في كلامهم لوجود ما يدل على معناها في لغتهم. وقد اضطرب اللغويون[٣] في الأصل الذي أخرجت اللفظة منه، فبسطوا بحثهم فيها تحت ثلاثة أصول هي: (ضَوَزَ، ضَيَزَ، ضَأَزَ) ثم إنهم جمعوا ما استعملته العرب من هذه الأصول على معنى واحد يدور حول: الجور والظلم والتحقير، فالقسمة الضيزى: هي الناقصة أو الجائرة، جاء في لسان العرب: ضازني يضوزني: إذا نقصني، وضاز في الحكم، أي: جار، وضازه، صفة، يضيزه ضيزاً: نقصه وبخسه ومنعه، ومن هنا فسرت اللفظة بـ(العوجاء، والجائرة، والظالمة، والباطلة، والفاسدة، وغير الجائزة)[٤].

ونجد ذلك في المفردات التي استحضرها المفسرون مرادفات لـ(ضيزى) للحفاظ على الفاصلة القرآنية وليس من الحكمة الركون إلى الفاصلة القرآنية في تلمس السبب الذي من أجله وردت اللفظة في موضوعها الفريد هذا، ويمكن القول، فضلاً عما ذكره البلاغيون:

١- إن دوي (الضاد) وشدته وانفجاره ثم تفشي الزاي المهجور واستطالة الصوتين في المقطعين (ضي) و(زا) له جرس يحاكي صوت الإعلان القاطع لنقصان هذه القسمة عن مبدأ العدل وأنها جائرة، ظالمة، فاسدة، غير جائزة.

٢- إن تفرد ضيزى بين ألفاظ القرآن الكريم أمر يومئ إلى أن ما جاء به هؤلاء ليس له نظير في القبح بين الأفعال البشرية، كما أن ضيزى لم يألفها العرب ولم يتكلموا بها من قبل.

٣- إن المشتركين سموا أصنامهم بنات الله زاعمين أن الله أبوها وحين تقرن هذه الخرافة إلى خرافة أخرى وهي أن الله له البنات وأن لهم البنين، فإن التضاد الواقع بين هاتين الخرافتين خير من يصوره ويوحي به هو التنافر بين (الضاد والزاي) في جرس (ضيزى) فكلاهما صوت أسناني لثوي مجهور، ومع اتفاقهما مخرجاً ولا فاصل بينهما سوى المد، نشأ التنافر الصوتي بينهما وهو تنافر ينبئ عن نفور الذوق السليم من القسمة التي ارتضاها هؤلاء ■

(١) ينظر: الكشاف، ٢/١٧٥.
(٢) ينظر: المصدر نفسه.
(٣) ينظر: البحر المحيط، ٤/٣٣-٣٤.
(٤) ينظر: لسان العرب (ضاز).

فضل القرآن الكريم

* عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع أن يقرأ في دبر الفريضة بقل هو الله أحد، فإنه من قرأها جمع الله له خير الدنيا والآخرة وغفر له ولوالديه وما ولدا».

* وعن منصور بن حازم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

«من مضى به يوم واحد فصلى فيه بخمس صلوات ولم يقرأ فيها بقل هو الله أحد قيل له: يا عبد الله لست من المصلين».

* وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله) صلى على سعد بن معاذ فقال:

«لقد وافى من الملائكة سبعون ألفاً وفيهم جبرئيل يصلون عليه، فقلت له: يا جبرئيل بما يستحق صلاتكم عليه؟ فقال: بقراءته قل هو الله أحد قائماً وقاعداً وراكباً وماشياً وذاهباً وجائياً».

* عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

«لو قرأت الحمد على ميت سبعين مرة ثم ردت فيه الروح ما كان ذلك عجباً».

الكافي ٢/ ٦٢٢-٦٢٣

أسيـادي

ضرغام البرقعاوي •

لم ترحل الأحـزانُ من فؤادي ... أبكي على (محمد الـجـوادِ)
وأدمـعـي تسيل مـن جـفـونٍ ... شـبّـت على تـزاحـم السهادِ
ومهجتي ما اظلمّت الليالي ... تـشـرق بـالـولاء والـوداد
وأنـنـي لـم أنـس حـبـي له ... أنّـى أكـن فـي أيّـمـا بـلادِ
لـو لـم تكن تثقلني ذنوبي ... لكنت قـد طـرت إلـى بـغـدادِ
وأنـحـر العمر على ضريح ... قـد ضـم طـوديـن مـن الأطـوادِ
مـحـمـد وجـدّه الـمـفـدّى ... وسـيـد الـعـبـاد والـزهـادِ
لـو لـم يكن لـي أجـل مسمّى ... لمتّ من حزني على أسيادي
آل الـنـبـي الـطـهـر آل طه ... هـم سـادتـي وأشـرف العبادِ
لـولاهـم مـا رفـعـت سماء ... وانبسطت أرض ولا بـوادي
ومـا عـلانـا قـمـر منير ... وأشرقت شمس على السوادِ
هـم غـلَـة الـوجـود لـو بصرنا ... ورغـبـة الـلـه عـلـى الإيـجـادِ
فـشـاركـونـي دمـعـكـم فإني ... أبكي على (محمد الـجـوادِ)

www.aljawadain.org

www.aljawadain.org

مفهوم الغلو.. في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم

دراسة موضوعية

د. محمد جواد فخر الدين •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع

أشار الله في محكم كتابه العزيز وفي مناسبات عدة إلى الغلو، بما له من دلالة قوية ومؤثرة في نفوس المسلمين آنذاك بواقع الإرث الديني لمن انتحل الغلو من الغلاة الذين دخلوا في حظيرة الإسلام ولازالوا متمسكين ببعض العقائد التي لم تتجلِ من نفوسهم[1]، على أن مجمل الآيات القرآنية التي تصرح بذلك تعني: أن هناك فعلا قد وقع من المسلمين يعكس هذه الظاهرة، لذا فإن القرآن تعامل مع الغلو من مبدأ النهي عن المنكر، أو ليؤكده طبقا للحوادث المكانية والزمانية التي وقع بها ذلك الحدث، وأما تذكيراً بأحوال الأمم السابقة.

والمهم في هذه الآيات القرآنية اليهود (بنو إسرائيل) و(المسيحيون) من أتباع مسألة أن المسيح هو ابن الله وهم المعنيون دون غيرهم، كما أن

هناك آيات عدة تتضمن تلميحاً يراد منه الاثنين سوية أي ـ أهل الكتاب ـ.

في حين نجد أن هذه الإشارة تأتي مرة تصريحا أي: بذكر كلمة غلو كما ذكرنا آنفاً، وأخرى تضميناً على وفق المعنى العام للآية.

ومن خلال المفهوم القرآني الذي أعطى بعداً تاريخيا مهما لجذور نشأة الغلو عند أهل الكتاب وأشار من خلال الآيات القرآنية إلى عناصر الغلو عند هؤلاء وكيف نشأ، وكيف تعامل معه على وفق الجوانب الفكرية والاعتقادية وهذا ما سنتعرض له خلال دراستنا هذه لمصطلح الغلو عند أهل الكتاب متمثلا باليهود والمسيحيين ـ النصارى ـ، ذلك أن منشأ الغلو قد بدأ عند أتباع هاتين الديانتين، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في أكثر من آية وآية.

وفي الذكر آيات تشير إلى غلو أهل الكتاب، بصراحة، وذلك في قوله تعالى:(يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا في دِينِكُمْ وَ لا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ)[٢].

وفي آية قرآنية أخرى: (قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا في دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ)[٣].

وهكذا نقف بداية عند نقطة تأسيسية وهي أن القرآن الكريم يعد المستند التاريخي الأول للتعرف

على المصطلح بكل أبعاده. وقد سجل الظاهرة تاريخياً بما يساعد على تفهمها اجتماعياً وبذلك يقيم لنا البحث التاريخي بنموذجين للغلو: وهو غلو اليهود، و المسيحيين.

توافق الحديث الشريف في الخط العام مع ما ذكره القرآن الكريم عن الغلو، بل جاء توكيداً وتواصلا مع المفهوم القرآني، وذلك من خلال أقوال وأفعال الرسولﷺ.

وقد كان مفهوم الغلو في الحديث الشريف ينطلق مما ذكره القرآن الكريم حيث أصبح قاعدة له تنطلق من خلاله جميع المفاهيم والأسس في حياة المسلمين من حيث تصرفاتهم وأفعالهم، بقوله تعالى: (يُرِيدُ اللَّه بِكُمْ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ)[٤]، حيث ينطبق هذا الأمر على كل شيء يخرج عن نطاق تجاوز الحدود المسموح بها في الدين.

وبناءاً على ذلك يمكن تحديد الموقف العام إزاء الغلو في الحديث الشريف الذي من خلاله يمكن أن نضع حداً فاصلا بين ما هو غلو وبين ما هو فعل طبيعي مسموح به ضمن دائرة الشريعة الإسلامية.

فلو لاحظنا في البدء ما هو موقف الرسولﷺ من الغلاة واضحا، حيث ورد في الحديث عن النبيﷺ قال: (لا تنال شفاعتي الغالي في الدين ولا الجافي عنه)[٥]، وفي حديث آخر قال رسول اللهﷺ، غداة العقبة[٦]. (يا أيها الناس! إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)[٧].

نلحظ هنا أن الرسولﷺ حذر المسلمين من أي فعل أو مظهر من مظاهر قد يؤدي إلى الغلو، وكان تركيزه وتذكيره في الكلام على أحوال الأمم السابقة أي الديانة اليهودية والمسيحية.

ومن جانب آخر بين الرسولﷺ فضيلة المسلم المعتدل عن المغالي في الدين والمتطرف لساناً وعملاً، حيث قال: (إن من إكرام جلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، والإمام العادل، وحامل القرآن لا يغلو فيه، ولا يجفو عنه)[٨].

ومن الأمور المهمة التي أكد عليها الرسولﷺ عدم التعمق في الدين لأنه لا يصلح لكل فرد، لأن درجات العقول متفاوتة في القوة والضعف، والنفوس البشرية مختلفة في النقاء والفطرة، وربما قاد التمسك المتطرف إلى الانحراف العقائدي والشذوذ الفكري، والخروج عن طريق الهدى والاستقامة ويقود في كثير من الحالات إلى الغلو بقوله: (ألا هلك المتنطعون ثلاث مرات)[٩]، أي: المتعمقون المغالون وإن المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم[١٠].

ومن هنا كان الرسولﷺ ينهى

المسلمون عن التعمق في صفات الله، عزوجل بقوله: (تفكروا في آلاء الله عز وجل ولا تفكروا في الله عز وجل)[11]، وفي حديث آخر: (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره....)[12]، وهو بذلك سد الطريق على الانحرافات العقيدية والفكرية التي قد تحصل عند المسلمين، ولم يدفع المسلمين إلى الانغماس في الماورائيات والميتافيزيقيا، كأن أين هو الله؟ أفي السماء أم في الأرض، وما هو حجمه وكينونته وجوهره؟ ... الخ، لأن الشبهات من الأسباب التي تؤدي إلى الانحراف عن المعتقد الصحيح وتقود بالنهاية إلى الغلو.

فضلا عن ذلك أكد الحديث الشريف على ضرورة ترك السؤال عن المسائل التي تثير الخلاف والتي إذا انتقلت إلى العامة فتحت أبواب الفتن، وهى ابتداع المسائل والأسئلة العويصة المعقدة عما لا حاجة للإنسان إليه والوقوف عند المسائل التي تهم الناس في حياتهم وترك المعميات والمسائل المبتدعة، لذا نهى الرسول ﷺ عن الغلوطات[13]، وهي كما يعبر عنها شداد المسائل وصعابها.

ومن هنا كان يؤكد الرسول ﷺ على ضرورة الأخذ بالسنة واجتناب البدعة بقوله: (أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة...)[14]، وقد حدد في هذا الحديث الرسول ﷺ مفهوما آخر يقود إلى الغلو وهي البدعة، وقد ارتبطت فيما بعد ارتباطا مباشراً بأفكار الغلاة، وجاء في بعضها تصريحا فعن ابن عباس قال دخل رسول الله ﷺ إلى المسجد فإذا أصوات كدوي النحل في قراءة القرآن فقال: (إن الإسلام يشيع ثم تكون له فترة، فمن كانت فترته إلى غلو وبدعة فأولئك أهل النار)[15].

ومن جانب آخر نهى الرسول ﷺ عن عبادة الأشخاص من خلال رفعهم إلى مستوى الربوبية، حيث ذكر أن قيس بن سعد قال: ثم أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فقلت يا رسول الله ألا نسجد لك فقال: (لو أمرت أحداً لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله عليهن من حقهم)[16].

وفي حديث آخر عن معاذ بن جبل: أتى الشام فرأى المسيحيين يسجدون لأساقفتهم وقسيسيهم وبطارقتهم ورأى اليهود يسجدون لأحبارهم ورهبانهم وربانيهم وعلمائهم وفقهائهم فقال لأي شيء تفعلون هذا قالوا هذه تحية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قلت فنحن أحق أن نصنع بنبينا فقال نبي الله ﷺ: (إنهم كذبوا على أنبيائهم كما حرفوا كتابهم لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظيم حقه عليها ولا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على ظهر قتب)[17].

وعليه نلحظ أن الرسول ﷺ أكد على حقيقة أخرى وهو أن الازدياد هو الارتفاع في الحب بالنسبة للأشخاص، لذا حاول أن يجرد هذا الأمر من عقول المسلمين حيث ما زالت بعض الرواسب العقيدية السابقة في أذهانهم، أو من خلال التأثيرات التي قد تصيبهم.

وقد أشارت بعض المرويات التاريخية إلى ذلك فقد نقل عن الحارث بن مالك[١٨] قال خرجنا مع رسول اللهﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية قال فسرنا معه الى حنين قال وكانت كفار قريش ومن سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوما قال فرأينا ونحن نسير مع رسول اللهﷺ سدرة خضراء عظيمة قال فتنادينا من جنبات الطريق يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال رسول اللهﷺ: (الله أكبر قلتم، والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم)[١٩].

وكان الرسولﷺ قد منع المسلمين أن يزيدوا الاتصال بأهل الكتاب، لأنه كان يخشى على المسلمين أن يبث هؤلاء بسمومهم إلى الإسلام ولاسيما من قبل الذين تظاهروا به، وتذكر بعض الروايات أن الخليفة عمر كان على اتصال ببعض اليهود وكان يستمع إلى أخبارهم، فذكر ذلك لرسول اللهﷺ وعن نيته في تدوين هذه الأحاديث، وما أن سمع رسول اللهﷺ هذا الكلام استشاط غضبا وعنفه وقال: (أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى...)[٢٠].

إذا ما علمنا ما كان لليهود من دور كبير في شبه الجزيرة العربية، ونستقرئ ذلك من خلال الخارطة الاستيطانية للمستوطنات اليهودية المنتشرة فيها حيث لم تخضع طوال تاريخها إلى أية سلطة سياسية حتى مجيء الإسلام الذي عمل جاهدا للحد من سيطرة هؤلاء وعلى مختلف المجالات ولاسيما الفكرية منها بعد أن دق هاجس الخوف والحيطة في نفس الرسولﷺ لما سيلعبونه هؤلاء من دور خطير يهدد فيه البنية العقائدية والسياسية، وهذا ما أكده ولفستون أنّ اليهود تعمدوا في نشر قصص التوراة والتلمود بين العرب لأسباب سياسية ودينية[٢١]، مع العلم أن اليهود لم يؤثروا عقليا أو فلسفيا في المسلمين، لكنهم نجحوا في إدخال عناصر تخريبية لدى الفرق الخارجة عن الإسلام ـ الغالية ـ[٢٢]، لذا أمر الرسولﷺ أن لا يجتمع في جزيرة العرب دينان[٢٣] ■

---

(١) Watt، w.m، Islam and the Integration of Society، (Great Britain١٩٦١)، pp.١٠٤-١٠٦.

(٢) سورة النساء، الآية:١٧١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

(٥) البصري، الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي (من أعيان المائة الثانية للهجرة)، الجامع الصحيح المسمى بـ(مسند الإمام الربيع بن

حبيب)، تحقيق محمد إدريس وعاشور بن يوسف، ط١، (بيروت دار الحكمة، ١٤١٥هـ)، ص٣٧٩. وانفرد المصنف بذكر هذا الحديث.

(٦) العقبة: بمكة فهي عقبة بين منى ومكة بينها وبين مكة نحو ميلين وعندها مسجد، ومنها ترمى جمرة العقبة، وهي التي بويع فيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ١٣٤/٤.

(٧) ابن ماجة، محمد بن يزيد السنن (ت٢٠٧هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار الفكر، د. مط)، ١٨٣/٩.

(٨) ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله محمد (ت٢٣٥هـ)، مصنف، تحقيق كمال يوسف، ط١، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ).

(٩) ابن حنبل، مسند، (مصر: مؤسسة قرطبة، د.ت)، ٣٨٦/١، الطبراني، المعجم الكبير، ١٧٥/١٠، أبي يعلي، مسند، ٤٢٢/٨.

(١٠) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ)، شرح النووي على صحيح مسلم، تحقيق دار إحياء التراث العربي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ)، ٢٢٠/١٦.

(١١) اللالكائي، هبة الله بن الحسن بن منصور (ت٤١٨هـ)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، تحقيق أحمد سعد حمدان، (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٢هـ)، ٥٢٤/٣، ابن شيرويه الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، ٥٦/٢.

(١٢) الأصبهاني، عبد الله بن محمد بن جعفر (ت٣٦٩هـ)، العظمة، تحقيق ضياء الله بن محمد إدريس، ط١، (الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٨هـ)، ١٤٤٢/٤.

(١٣) أبي داود، السنن، ٣٢١/٣، ابن حنبل، مسند، ٤٣٥/٥، الطبراني، المعجم الأوسط، ١٣٧/٨، المتقي الهندي، علي بن حسام (ت٩٧٥هـ)، كنز العمال، تحقيق بكري حياني وصفوة السقا، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت)، ١٩٧/١٠.

(١٤) البخاري، الصحيح، ٢٦٥٥/٦، الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن (ت٢٥٥هـ).

(١٥) الطبراني، المعجم الكبير، ٣١٨/١٠، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢٥٩/٢.

(١٦) الدارمي، السنن، ٤٠٦/١، أبي داود، السنن، ٢٤٤/٢.

(١٧) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ١٩٠/٤.

(١٨) الحارث بن مالك وقيل الحارث بن عوف وقيل عوف بن الحارث بن أسيد بن جابر بن عويرة الليثي المدني، أبو واقد، من الصحابة، وكان قديم الإسلام وكان يحمل لواء بني ليث وضمرة وسعد بن بكر يوم الفتح وحنين وفي غزوة تبوك يستنفر بني ليث، يعد في أهل المدينة وجاور بمكة سنة ومات بها فدفن في مقبرة المهاجرين سنة ثمان وستين وهو ابن خمس وسبعين سنة وقيل ابن خمس وثمانين سنة.
ابن قانع، عبد الباقي بن مرزوق (ت٣٥١هـ)، معجم الصحابة، تحقيق صلاح سالم، (المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٨هـ)، ١٧٣/١.

(١٩) الطيالسي، سليمان بن داود (ت٢٠٤هـ)، مسند، (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ص١٩١.

(٢٠) الثعلبي، أحمد بن محمد النيسابوري (ت٤٢٧هـ)، التفسير، تحقيق أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق نظير الساعدي، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ)، ١٢٧/٢.

(٢١) إسرائيل، تاريخ اليهود في بلاد العرب، (مصر: مطبعة الاعتماد، ١٩٢٧م)، ص٧٥.

(٢٢) النشار، علي سامي، الشربيني، عباس أحمد، الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية، (الاسكندرية: منشأة المعارف، د.ت)، ص٣٠.

(٢٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٢٦/٤.

تخريج حديث..

(أنا مدينة العلم وعلي بابها)

عند الشيعة والسنة

نظرة مقارنة

علي الفحام •

ينابيع

من الأحاديث التي أخذت مجالاً واسعاً من الجدل في مساحات الحوار الإسلامي كان حديث باب مدينة العلم الذي حدد فيه رسول الله ﷺ المرجعية العلمية المعرفية للمسلمين حيث ينص الحديث الشريف:

(أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة والحكمة فليأتها من بابها).

قد يبدو مثيرا للنظر عندما نعلم أن طرق تخريج هذا الحديث عند محدثي أهل السنة لا تقل نوعاً وكماً عن الطرق الخاصة من محدثي الشيعة الإمامية وهذا إنما يؤكد متانة الإسناد التي يتمتع بها هذا الحديث الشريف المهم تاريخياً وعقدياً... وبالرغم مما يتمتع به هذا الحديث الشريف من قوة إسناد وكثرة الشواهد من الأحاديث الشريفة والوقائع التاريخية فإن المدرسة السلفية المعاصرة تأبى إلا إن تنكر صدور هذا الحديث عن رسول الله ﷺ واصفةً هذا الحديث بالوضع !! ولا

نجد سوى عصبية المذهب وناصبية الهوى أسباباً لهذا الموقف المتشدد من الحديث الشريف ولذلك كان لا بد من تسليط بعض الضوء على حقيقة الإسناد وطبيعة الرواة وآراء العلماء في هذا الحديث الشريف...

الحديث عند طرق أهل السنة

في موسوعته الخالدة الغدير أحصى العلامة الثبت الشيخ عبد الحسين الأميني (ت١٣٩٢) ما يربو على مئة وأربعين عالماً من كبار وأجلاء علماء ومحدثي أهل السنة وفي مختلف الطبقات ممن (صحح) أو (حسن) هذا الحديث أو عمل به كأمر مسلم به حتى كان بعضهم إذا ذكر أمير المؤمنين علياً عليه السلام قال: (كان باب مدينة العلم علي أو قال باب مدينة العلم علي... الخ) حيث أصبح لقباً متداولاً في مختلف الأعصار انفرد به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام..

وقد روي هذا الحديث (عن أربعة من الصحابة وهم: ابن عباس، وعلي بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدري) (تخريج حديث أنا مدينة العلم ـ خليفة الكواري ص٦) وهذه أولى نقاط القوة في هذا الحديث حيث رواه أكثر من صحابي واحد عن رسول الله صلى الله عليه وآله فالحديث لم ينفرد به صحابي واحد...

رواية الحديث عن ابن عباس

رواه عنه اثنان من التابعين وأوثق من روى عنه مجاهد بن جبر (ثقة إمام في

تخريج حديث: (أنا مدينة العلم وعلي بابها)

التفسير وفي العلم من الثالثة مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة) (تقريب التهذيب لابن حجر ١٥٩/٢) وقد رواه عنه سليمان بن مهران المعروف بالأعمش (ثقة حافظ عارف بالقراءات ورع لكنه يدلس من الخامسة مات سنة سبع وأربعين أو ثمان) (تقريب التهذيب لابن حجر ٣٩٢/١).

وقد تمسك خليفة الكواري بمسألة تدليس الأعمش في محاولة أولية لتضعيف هذا الحديث حيث يقول(والأعمش معروف بكثرة التدليس، وصفه به غير واحد من العلماء) (تخريج حديث أنا مدينة العلم - خليفة الكواري ص٧) وهذا التضعيف لا يصمد أمام النقد من عدة وجوه:

١- أن الحافظ ابن حجر صنف الأعمش في المرتبة الثانية من المدلسين وهم (من احتمل الأئمة تدليسه وأخرجوا له في الصحيح لإمامته وقلة تدليسه في جنب ما روى) وذلك في كتابه (طبقات المدلسين) ص٣٣، وما كان في المرتبة الثانية لا يضر تدليسه، أضف إلى ذلك ما قاله الذهبي في ميزان اعتداله ٢٢٤/٢: (فالأعمش عدل صادق ثبت، صاحب سنة وقرآن، ويحسن الظن بمن يحدثه، ويروى عنه، ولا يمكننا أن نقطع عليه بأنه علم ضعف ذلك الذي يدلسه، فإن هذا حرام).

٢- أن الأعمش رأى مجاهد وسمع حديثه، في سير أعلام النبلاء للذهبي: (وروي عن الأعمش، قال: كان مجاهد كأنه حمال، فإذا نطق، خرج من فيه اللؤلؤ) وفي سير النبلاء أيضاً ٢٣٤/٦: (حدثني أبو سعيد، أخبرنا ابن نمير، عن الأعمش قال: كنت آتي مجاهدا فيقول: لو كنت أطيق المشي لجئتك) (وورد أن الأعمش قرأ القرآن على زيد بن وهب، وزر بن حبيش، وإبراهيم النخعي. وأنه عرض على أبي عالية الرياحي، وعلى مجاهد).. نستنتج:

الأعمش لقي مجاهد وسمع منه..

الأعمش كان يختلف إلى مجاهد..

الأعمش قرأ القرآن على مجاهد..

٣- إن علة تدليس الأعمش في ما رواه عن مجاهد هو ما رواه عنه (يحيى بن سعيد القطان)، قال يحيى بن سعيد: (كتبت عن الأعمش أحاديث عن مجاهد كلها ملزقة لم يسمعها) مقدمة الجرح والتعديل للرازي: (ص٢٤١). والحمد لله فإن حديث مدينة العلم لم يرو عن يحيى القطان.

٤- إن أئمة الحديث وعلماء الجرح والتعديل صححوا أحاديث انفرد بها الأعمش عن مجاهد ولم يطعنوا بها ولم يذكروا علة تدليس الأعمش، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

الحديث الأول: ٩٥/١ تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي: (أحمد، ثنا ابن فضيل، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال رسول الله: (إن للصلاة أولا وآخرا...) خرجه (ت) وقال: سمعت محمدا يقول: أخطأ فيه ابن فضيل، وحديث الأعمش عن مجاهد أصح...) تصريح واضح أن سند الأعمش

عـن مجاهد اصح من حديـث ابن الفضيل رغم كونه ثقة .

الحديـث الثاني: تفـرد به الأعمش عن مجاهـد في (تخريـج الأحاديـث للزيلعي) ٩٢/١: روى البزار في مسـنده ثنا محمد بن المثنى ثنا يحيى بن حماد ثنا أبو عوانة عن سليمان الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال كان رسول اللّه ﷺ يصل بمكة نحو بيت المقـدس والكعبة بيـن يديه وبعدما هاجر إلى المدينة سـتة عشـر شهرا انتهى وقـال لا نعلـم أحـدا رواه إلا الأعمش عن مجاهـد عن ابن عباس ولا عن الأعمش إلا أبو عوانة...

قـال الهيثمي فـي زوائـده: رواه أحمد والطبرانـي في الكبيـر والبـزار ورجاله رجال الصحيح.

ولم يطعـن الهيثمي في الحديث لرواية الأعمش عن مجاهد متفرداً .

الحديث الثالث: موارد الضمآن للهيثمي ٢٨٥/٦: أخبرنا الحسن بن سفيان، حدثنا عبد اللّه بن عمر بن أبان، حدثنا عبثر، عن الأعمش، عن مجاهد، قال: قالت عائشـة: ما فعل اللّه بزيد بن قيس لعنه اللّه؟ ، قالوا: قد مات. قالت: فأسـتغفر اللّه. فقالوا لها: مالك لعنتيه، ثم قلت: أستغفر اللّه؟ ، قالت: إن رسـول اللّه ﷺ قال: (لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا)... سنن الدارمي والمسند... وهو حديث صحيح مروي فقط عن الأعمش عن مجاهد.

٥- أن كل العلمـاء المتقدميـن ممـن تحدث عـن حديث (مدينة العلم) أو حكم عليـه بالوضع لم يشـر إلى مسـألة تدليس الأعمـش عـن مجاهـد؟! وكان يمكنـه الاسـتفادة منها لتعزيز رأيه وتقوية حجته... ومنهـم الذهبـي وابـن الجـوزي والرازي وابن حبان والعقيلي وغيرهم مما يبين أنها محاولة (مسـتحدثة) و(ركيكـة) من قبل البعض لتوهين الحديث!

٦- إن حديـث (مدينة العلـم) ليس مما تفـرد بـه الأعمـش عـن مجاهد بـل روي بأسانيد أخرى بعضها صحيح كما سنبين إن شاء اللّه تعالى.

نعود إلى سلسـلة الحديث عن الأعمش حيـث رواه عنـه ثلاثـة مـن الـرواة: (أَبـو معاوية محمد بن خازم الضرير، وعيسـى بـن يونـس، وأَبـو الفَتح سـعيد بـن عقبة الكوفي)، وأقوى هـؤلاء الرواة وأوثقهم (أَبو معاوية محمـد بن خازم الضرير) قال عنـه الذهبي في ميزان الاعتـدال ٥٣٢/٣: (ثقة ثبت، ما علمت فيه مقالا يوجب وهنه مطلقا) وقـد روى الحديث عن أبي معاوية عبد السـلام بن صالح أبو الصلت الهروي صاحب الإمام الرضا عليه السلام قال عنه الحاكم في المسـتدرك ١٢٦/٣ (ثقة مأمون) وقال عنـه ابن حجر في تقريـب التهذيب ٦٠٠/١ (صدوق له مناكير وكان يتشيع) وقد قال عنـه عمر بن شـاهين (ت٣٨٥) في (تاريخ أسماء الثقات) ص١٥٦: (ثقة صدوق إلا أنه يتشـيع)... وقد تعرض أبـو الصلت الهروي إلى هجوم شـرس من قبـل علماء الحديث والجـرح والتعديـل لأهل السـنة والجماعة لا لشـيء إلا لأنه كان يـروي مناقب أهل البيـت عليهم السلام وقـد اتهمه جملـه منهم بوضع حديـث مدينـة العلـم ولكـن الحمـد للّه تصـدى لهم أمام الجـرح والتعديل عندهم يحيى بن معيـن (ت٢٣٣) ففي تاريخ بغداد ٥١/١١: عن محمد بن يعقوب الأصم يقول: سـمعت العباس بن محمد الـدوري يقول: سـمعت يحيى بـن معين يوثق أبـا الصلت عبد السـلام بن صالح، فقلت - أو قيل له -

تخريج حديث: (أنا مدينة العلم وعلي بابها)

إنه حدث عن أبـي معاوية عن الأعمش (أنا مدينة العلم وعلي بابها) فقال: (ما تريدون من هذا المسـكين؟! أليـس قد حدث به محمد بن جعفر الفيدي عن أبي معاوية).

وقد تابع أبا الصلت على روايته عن أبي معاوية مجموعة مـن الرواة الثقات نذكر منهم ما يلي:

(١) محمـد بن جعفر الفيـدي: (مقبول) كمـا فـي تقريـب التهذيـب لابـن حجر ٦٣/٢.

(٢) موسـى بـن محمد الأنصـاري: عن يحيـى بـن معيـن: ثقـة، الجـرح والتعديل للرازي ١٦٠/٨.

(٣) محمـود بن خداش: (صدوق) كما في تقريب التهيب لابن حجر ١٦٣/٢.

(٤) الحسـن أحمـد بن علي بن راشـد: (صدوق رمي بشيء من التدليس) كما في تقريب التهذيب لابن حجر ٢٠٦/١.

(٥) وأبو عبيد القاسـم بن سلام: (إمام مشـهور ثقـة فاضـل مصنـف) كمـا في تقريب التهيب لابن حجر ١٩/٢.

ولعـل أقوى تلك المتابعـات هي متابعة (موسى بن محمد الأنصاري) آنف الذكر ففـي كتـاب حديـث خيثمـة ص٢٠٠: عن خيثمة بن سليمان الطرابلسي (أحد الثقات المكثريـن الرحالين في طلـب الحديث) (ت٣٤٣): حدثنـا محمـد بـن عـوف (ثقـة حافظ) حدثنا محفوظ بن بحر الأنطاكي (مسـتقيم الحديـث كمـا في ثقـات ابن حيان) حدثنا موسـى بـن محمد الأنصاري الكوفـي (لم يطعن فيـه البخاري وذكره ابن حيان في الثقات كما وثقه ابن معين) عن أبي معاوية (ثقة ثبت) عن الأعمش (أحد الأئمة الثقات) عن مجاهد (ثقة ت١٠٤) عن ابـن عباس رضي الله عنهمـا مرفوعاً: (أنا مدينة الحكمة وعلي بابها).

رواية الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام

والسند الآخر الصحيح المتصل هو ما رواه الصنابحـي عن علي عليه السلام، فقد أخرج الحافظ الإمام عبد الله بن الإمام أحمد في زياداته على كتاب مناقب علي لأبيه فقال: حدثنـا إبراهيم بن عبد الله الكجي، وهو إمام ثقة حافظ صاحب السنن، عن محمد بن عبد الله الرقاشـي، وهو ثقة حجة ومن رجـال الصحيحين قال، حدثنا شـريك بن عبد الله، عن سـلمه بن كهيل، عن سويد بـن غفلة، عن الصنابحي عن علي مرفوعا (أنا دار الحكمة وعلي بابها) وهذا إسـناد متصل، ورجاله أئمة ثقات، وشـريك إمام حافظ .

- (سـلمة بن كهيل): قـال العجلي: ثقة ثبت، وثقه ابن حبان وابن حجر...

- (سويد بن غفلة): وثقه ابن معين كما في الجرح والتعديل للرازي ٢٣٤/٤،

- الصنابحي: شامي ثقة تابعي من كبار التابعين (ثقات العجلي ٤٧٠/١) .

رواية الحديث عند الشيعة

روى هذا الحديث كل محدثي الشيعة الأثبات الأعلام وأسـندوه إلـى الأئمة عليهم السلام وإلـى رسـول الله صلى الله عليه وآله: فقـد رواه الصدوق

محمد بن علي بن بابويه القمي (ت٣٨١) في كتبه: (الأمالي) بسندين و(عيون أخبار الرضا) بسندين أيضاً، (التوحيد) بسند متصل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، (فضائل الشيعة) بسند صحيح متصل إلى الإمام الصادق عليه السلام..

كما رواه الشيخ المفيد (ت٤١٣) في أماليه بسند متصل إلى الصحابي جابر بن عبد الله الانصاري رضوان الله عليه، ورواه أيضاً شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠) في أماليه بسندين أيضاً، كما رواه ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩) في كتابه الكافي بأسانيده إلى الإمام الصادق عليه السلام..

ولا يأس هنا أن نذكر الأسانيد الصحيحة التي جاء بها هذا الحديث في طرق الشيعة:

ـ فضائل الشيعة ص١٤: الصدوق [قال حدثني] أبي رحمه الله قال حدثني سعد بن عبد الله (ثقة) عن أبي بصير (ثقة من رجال الإجماع) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي إن الله وهبك حب المساكين والمستضعفين في الأرض فرضيت به إخوانا ورضوا بك إماما فطوبى لمن أحبك وصدق عليك وويل لمن أبغضك وكذب عليك يا علي أنت العالم بهذه الأمة من أحبك فاز ومن أبغضك هلك يا علي أنا المدينة وأنت بابها وهل تؤتى المدينة إلا من بابها...

ـ عيون أخبار الرضا ٢/٢٠٧: حدثنا علي بن الحسين بن شاذويه المؤدب وجعفر بن محمد بن مسرور رضي الله عنهما (من مشايخ الصدوق) قالا: حدثنا محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري (ثقة) عن أبيه (ثقة) عن الريان بن الصلت (ثقة)، عن الإمام الرضا (ذكره في مناظرة طويلة مع جماعة من علماء العراق وخراسان)...

ـ الكافي ٢/٢٣٨: عن علي بن إبراهيم (ثقة)، عن محمد بن عيسى (ثقة)، عن يونس بن عبد الرحمن (ثقة)، عن مهزم الأسدي (ممدوح) وبعض أصحابنا، عن محمد بن علي، عن محمد بن إسحاق الكاهلي، وأبي علي الأشعري (ثقة) عن الحسن بن علي الكوفي (ثقة)، عن العباس بن عامر (ثقة)، عن ربيع بن محمد (ممدوح) جميعا، عن مهزم الأسدي (ممدوح) عن أبي عبد الله الصادق قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا المدينة وعلي الباب وكذب من زعم أنه يدخل المدينة لا من قبل الباب وكذب من زعم أنه يحبني ويبغض عليا (صلوات الله عليه)...

وقد شهد القاصي والداني أن علياً عليه السلام كان باب مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله فمن أراد أن يصل إلى روح الإسلام والعقيدة الصافية فمن خلال أهل البيت يصل وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي عليه السلام ولا يوجد ضمانة لأي أحد يتبع غير أهل البيت بأن يصل إلى الحق وأنى لهم ذلك وقد ضيع القوم حتى الصلاة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فعن أبي موسى الأشعري عندما صلى خلف أمير المؤمنين في البصرة قال: لقد ذكرنا علي بن أبي طالب صلاة كنا نصليها مع رسول الله صلى الله عليه وآله إما نسيناها أو تركناها [عمدا] فكان يكبر إذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع. مجمع الزوائد للهيثمي ٢/١٣١ وقال عنه: (رواه البزار ورجاله ثقات) ولا عجب في ذلك فالله تعالى يقول: (وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) سورة الأنعام/١٥٣ ■

تخريج حديث: (أنا مدينة العلم وعلي بابها)

استطلاع المجلة

مسجد البصرة الكبير

خطوة الإمام علي (عليه السلام)

استطلاع وتصوير: محمد الدراجي •

ينابيع صرح خالد عندما تنظر إليه تنفتح أماك آفاق لتطلع إلى بطولات الماضي التي ما برحت مؤثرة في حاضرك..

كثيرة هي المساجد والمراقد والمقامات والأماكن المقدسة في العراق، فقد كرم الله تعالى أهله ببركة عترة نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الممتدة على طول الخط الإيماني بمختلف الأماكن.

وإن حضارة الإسلام العريقة الأولى في العراق كانت محصورة بين مدرستين هما الكوفة والبصرة والأخيرة هي التي يرجع أصل تراثها الإسلامي العريق والعلمي الرصين وحضارتها إلى مسجد خطوة الإمام علي عليه السلام أو (جامع البصرة الكبير) وكانت البصرة تناظر الكوفة في المذاهب العربية وهو أثر مشهور في كتب النحاة[1]. وفيها من التراث الأصيل أجوده. وإن (جامع خطوة الإمام علي عليه السلام) هو أول مسجد بني في العراق[2] ولقد شهد التاريخ بفضل المساجد في الحركة الإسلامية أكبر الأثر في توجيه الشعور وتوحيد الصفوف نحو الأغراض التي يبتغيها ولاة الأمر فضلاً عن كون المساجد بيوت الله التي يذكر فيها اسمه وتبث فيها أوامره ونواهيه ومجمع ينادي الأمير منه للجهاد والذود في سبيل اله وكذلك ما أخرجته

المساجد من فطاحل العلماء والزهاد والأدباء والقادة ويعتبر جامع البصرة الكبير الصرح الأعظم والأقدم في هذا المجال.

لاح لنا من البعيد أفق ملؤه فخر، وشموخ، يتوسطه صرح عظيم هائل الهيبة وكأنه منارة عظيمة تظهر عليه آثار البطولات وتراث صانعي التاريخ، ومهد الأصالة الحقيقية وصولات العظماء.. تطوف به جموع من الخلق يرجون الجواز إلى ساحة رحمة الله ونعمته وكأنهم بضلال سفينة في لجة البحر... وبجوار ذلك الأفق والصرح العظيم منارة عالية شامخة بالإيمان وقبتان لهما من الهيبة ما يجرك للنظر إليهما.. منظر ينقلك بيقظة الإيمان من سنة النوم إلى إحدى زوايا القداسة.

تاريخ المكان الطاهر

يعود تاريخ جامع البصرة الكبير (خطوة الإمام علي عليه السلام) إلى زمن عتبة بن غزوان عندما كان والياً على البصرة وتحديداً حينما فتح مدينة الأبلة وضرب قيروانه على أرض البصرة سنة (١٤هـ) وبعد أن استقر العرب فيها ودخلتها جيوش المسلمين كتب عتبة بن غزوان إلى الخليفة الثاني كتاباً يستأذنه فيه بتمصير البصرة من القصب، فكتب إليه إني وجدت أرضاً كثيرة القضة - أي الحصى - في طرف البر إلى الريف

مسجد البصرة الكبير

دونها منابع فيها ماء وفيها قصب، فكتب إليه أن انزلها. فنزلها عتبة بن غزوان وبنى مسجدها الجامع الكبير من قصب وكذلك بنى بيوتاً للمجاهدين معه من قصب ايضاً ويذكر إن الخليفة الثاني قال عنها: (هذه أرض بصرة قريبة من المراعي والمحتطب)[٣]، وكان أول مولود فيها هو عبد الرحمن بن أبي بكرة وأبوه أول من غرس النخل فيها[٤].

ولما التهمت النيران بيوت البصرة سنة (١٦هـ/٦٣٧م) في زمن أبي موسى الأشعري تحول البناء بعد ذلك إلى اللبن حيث كان المسجد من جملة ما بني باللبن، لأنه كان طعمة للنيران التي التهمت بيوت البصرة أيضاً، ويذكر بعض المؤرخين أن الذي اختط موضع المسجد هو محجن بن الأذرع الأسلمي من بني سليم فصلى على أرضه قبل أن يتم بناؤه[٥]. وقد جعل منبره وسط الجامع فكان الأمير إذا قدم للصلاة تخطى رقاب الناس إلى القبلة.

وفي سنة (٤٥هـ) في زمن زياد بن أبي سفيان هدم الجامع وبني في موضعه بالجص والآجر المنحوت وسقف بالساج وبنيت بداخله مقصورة وأحضرت سواريه (الأعمدة) من جبل قعيقعان في الأهواز. ولما تم بناء الجامع الكبير نقل المنبر من وسط الجامع إلى صدره. وكانت أرض المسجد تربة بحيث أن المصلين إذا فرغوا من الصلاة أخذوا ينفضون ما عليهم من تراب علق بأيديهم وملابسهم ولأجل أن لا تكون عادة ـ نفض التراب بعد الصلاة بدعة يعتاد عليها الناس فقد فرشت أرض المسجد بالحصى وقد بقي الحصى فيه حتى مجيء الرحالة بن بطوطة في القرن الرابع عشر الهجري وقد شاهد الحصى بنفسه وذكر ذلك في رحلته[٦].

وكان في المسجد الكبير خمسمائة حارس يرابطون فيه ولا يفارقونه وهو أول مسجد فيه هذا العدد من الحراس المرابطين فيه وأن له ثمانية عشر باباً سمي كل باب باسم قبيلة من قبائل البصرة[٧] وقد كان المسجد في جانبه الشمالي منزوياً بسبب دار نافع بن الحارث أخي زياد من أمه سمية وقد هدمت داره وعوض عنها لكي تتم ترابيع المسجد أي يكون مربعاً. وكان مؤذن المسجد في ولاية عبيد الله بن زياد هو المنذر بن حسان العبيدي وبقي الأذان من بعده في ولده[٨].

وفي سنة (١٦٠هـ/٧٧٦م) وحينما بلغت البصرة أوج ازدهارها ضاق المسجد بالمصلين فوسع بناءه بعد تهديم الدور الملاصقة له[٩] وإدخالها ضمنه فأصبح أوسع المساجد وأكبرها وقد هدمت دار الإمارة الملاصقة له وأدخلت قبلة المسجد.

وبعد ذلك داهمت البصرة ويلات كثيرة كان من أبرزها (ثورة الزنج) بقيادة الحسن بن خليل القرغاني الذي أحرق المربد الذي كان يعتبر ثاني عكاظ وهدم الجامع بعد أن أشعل النار فيه وبعد ذلك أصلح ما تهدم منه وما احترق[١٠].

بعد ذلك بدأت الحياة تدب خصوصاً العلمية منها لكن ليس بقياس يقاس حيث فقد الجامع عدداً كبيراً من العلماء والزهاد والأدباء الذين كانوا

الأثر الوحيد الباقي
من المسجد القديم

فيه ويذكر أنه في سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٦م) احترق الجامع وتهدم معظمه فأعيدت عمارته وجلبت أساطينه من جبل الأهواز وجلب له الساج من شيراز وبني دهليزاً للجامع مع حجرتين جعل في إحداهما كتباً وبعد ذلك اعترت المسجد الشريف يد الخراب عند اندثار البصرة سنة (٨٠٠هـ/١٣٩٧م). وإنشاء مدينة البصرة الجديدة[١١].

ولم يبق من هذا المسجد العظيم سوى جانب لجناحه الشمالي الذي صوره أحد السياح المستشرقين في القرن العاشر الهجري ولم يبق من آثاره إلا جانب من زاوية المسجد الشمالية تشهد على عظمته ومجده وكأنها جؤجؤ سفينة في لجة البحر فجاء هذا الأثر الباقي نتيجة طبيعية لقول بطل الإسلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (ليأتين عليها (البصرة) زمان لا يرى منها إلا شرفات جامعها كجؤجؤ سفينة في لجة البحر...)[١٢].

وإن هذا الأثر القائم إلى اليوم إنما هو بناء لأحد أركان المسجد الرئيسية الأربعة وليس كما يتوهم البعض أنه مئذنة المسجد وهذا واضح وجلي أما باقي أعمدته وأساطينه فقد طمرت وانتهى بعضها إلى دور ناحية الزبير اليوم التي أنشأت بحدود سنة (١١١٨-١١٣٠ هـ)/ (١٧٠٩- ١٧١٧م).

أشهر الحوادث التي حدثت فيه

حدثت فيه حوادث جمة وكثيرة جداً فشهد المسجد واقعة الجمل وهي الواقعة التي خرج فيها مناوئو أمير المؤمنين عليه السلام لقتاله مطالبين بدم قتيلهم عثمان بن عفان ومذبحة الحجاج عندما عينه مروان بن الحكم والياً على البصرة والكوفة وأمره أن يحتال لقتل المؤمنين فتعمد الحجاج أن يدخل في يوم الجمعة وفي وقت الصلاة تحديداً إلى المسجد وأمر رجاله بملازمة أبواب المسجد على كل باب مئة رجل وأمرهم بمن في المسجد من المصلين قائلاً: (لا يخرجن أحداً منهم حتى يسبقه رأسه إلى الأرض) وقال أيضاً: (سأكلم القوم في خطبتي فسيحصبوني فإذا رأيتموني وضعت عمامتي على ركبتي فضعوا أسيافكم في رقابهم) فدخل واعتلا المنبر وخاطب الناس بوقاحة عالية فقال: (إن ـ أمير المؤمنين ـ عبد الملك بن مروان قد ولاني مصركم وقسيمة فيئكم وقلدني سيفين سيف رحمة وسيف نقمة فأما سيف الرحمة فقد سقط مني في الطريق وأما سيف النقمة فهو هذا!!) فضج الناس نحوه فأسرع ووضع عمامته على ركبته وجرت جلاوزته السيوف على رقاب المسلمين في بيت من بيوت الله وفي وقت الصلاة من يوم الجمعة وعملت السيوف بالرقاب عملاً ما

مسجد البصرة الكبير

أكثر شناعته حتى سالت الدماء في ذلك اليوم وخرجت من باب المسجد والطرق...[١٣].

وكذلك واقعة قريب وزحاف بعد معركة صفين حينما حدث تمردهم وهجموا بجموع لهم على المسجد وقتلوا فيه خلقاً كثيراً من الناس.

وبالنسبة لواقعة الزنج فيذكر البستاني في كتابه دائرة المعارف ص٤٥٤ إن صاحب الزنج بقي يقتل ويفتك ويحرق بالبصرة ليومين مستمرين ثم بعد ذلك نودي بأهلها بالأمان فلما اجتمعوا غدر بهم فكان السيف يعمل فيهم كل ذلك النهار حتى صار المسجد بحيرة من الدماء ولم يصرف جيشه عنها حتى خربها ـ أي البصرة ـ.

ثم واقعة أبو طاهر سليمان بن الجنابي الذي هاجم البصرة سنة (٣١١هـ/٩٢٣م) في يوم الاثنين لخمس ليال بقين من ربيع الثاني فتسلق إليها وأحرق المربد ونقض الجامع وقتل من الناس ما قتل[١٤] وقد هدمت دور وجوامع في هذه الواقعة.

الخطب التي ألقيت في المسجد

لقد كان المسجد الشريف منبر التبليغ من قبل الولاة والأمراء فكانت هناك خطب الجهاد والحروب وأخذ البيعة وكذلك خطب فطاحل العلماء والفقهاء وأن الخطب التي ألقيت في هذا المسجد كثيرة جداً، وإنه كلما وردت في كتب التاريخ عبارة (دخل مسجد البصرة) أو عبارة (خطب في مسجد جامعها) أو (درست في المسجد الجامع بالبصرة) فإن المقصود به هو جامع البصرة الكبير الذي نحن بصدده وإن من جملة أبرز الخطب التي ألقيت فيه ما يلي[١٥]:

ـ خطبة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

تعتبر خطبة أمير المؤمنين وسيد البلغاء والمتكلمين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد واقعة الجمل من أهم الخطب التي ألقاها على منبر جامع البصرة، حيث خطى إلى المنبر برجله فاعتلاه وصدح صوته صرخة على مر العصور لتبقى ناقوس إيمان يرن بمسامع الخلق مهما طال الزمان حيث قال في خطبته المشهورة: (يا أهل البصرة يا بقايا ثمود... يا أتباع البهيمة...) حتى وصل الى قوله: (غير إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول تفتح أرض يقال لها البصرة قارؤها أقرأ الناس، يستشهد عند مسجد جامعها ثمانون ألف شهيد، الشهيد يومئذ كالشهيد يوم بدر معي).

وأخذ أمير المؤمنين عليه السلام يخطب في المسجد الجامع خطباً كثيرة فكان يخطو الى المنبر بخطواته الشريفة مراراً وتكراراً ليقرع الأسماع بهدي من الله، ويذكر المؤرخون إن أمير المؤمنين عليه السلام أقام هناك وجعل من منبر المسجد الجامع منطلقاً لهدي النفوس وإصلاح ما فسد من أمور المسلمين خصوصاً في الفترة التي أعقبت حرب الجمل[١٦].

ـ خطبة عتبة بن غزوان:

وقد خطب فيه عتبة بن غزوان عند تأسيسه وبناءه ويذكر صاحب كتاب (جمهرة خطب العرب) في الجزء الأول منه إن خطبة عتبة بن غزوان كانت هي

أول خطبة ألقيت في المسجد الجامع الكبير، فقد حمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال: (أما بعد فإن الدنيا قد تولت حذاء مدبرة وقد آذنت أهلها بصرم وإنما بقي منها صبابة كصبابة الأناء يصطبها صاحبها، ألا وإنكم مفارقوها لا محالة ففارقوها بأحسن ما يحضركم...). حتى أخر خطبته.

ـ خطبة عبد الله بن عباس:

حين جاء عبد الله بن عباس مع الأحنف بن قيس لشحذ الهمم لأجل اللحاق بجيش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لمناجزة أهل الشام بعد فشل التحكيم خطب في المسجد الجامع الكبير فقام بعد أن حمد الله وصلى على رسوله وآله فقال: (يا أهل البصرة قد جاء في كتاب أمير المؤمنين يأمرني بأشخاصكم فأمرتكم بالمسير إليه مع الأحنف بن قيس فلم يشخص إليه منكم إلا ألف وخمسمئة وأنتم في الديوان ستون ألفاً... فإني موقع بكل من وجدته تخلف عن دعوته عاصياً لإمامه حزناً يعقب ندماً ولا يلم امرؤ جعل السبيل على نفسه إلا نفسه).

ـ خطبة زياد بن أبي سفيان:

يذكر صاحب (العقد الفريد) في الجزء الثاني ص١٨٣ إن لزياد بن أبي سفيان خطبة في المسجد لما ولاه معاوية على البصرة سنة (٤٥هـ) فَعَلا المنبر ولم يحمد الله في خطبته فسميت خطبته

بـ(البتـراء) فقـال: (أما بعد فـإن الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والعمى الموفى بأهله على النار... حتى وصل الى قوله: ... وأيـم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي...)، فقـام إليه الأحنف بن قيس وخاطبـه قائـلاً: (إنمـا الثناء بعـد البلاء والحمد لله بعد العطاء وإنا لن نثني حتى نبتلى).

وقد علا زياد بن أبي سـفيان المنبر ثانيـة بعد موت يزيد وهو يريد أن يبايعه الناس كأمير لهم فصعد المنبر وخطب وبايعه بعـض الناس ولكن كان كلما خرج رجل من المسـجد مسـح يديه في الحائـط وهو يقول: (أيظـن ابن مرجانة إنا نوليه أمرنا في الفرقة؟!).

ـ خطبة الحجاج:

إن للطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي (لعنـه الله) خطبـة مشـؤومة الموقـف والألفـاظ فقد ذكرهـا صاحب (العقد الفريـد) في الجزء الثاني، ص١٨٦ فقد علا المنبـر وهو يتوعد ويهدد المؤمنين بالقتل في الخطبة التي كان فيها مصرع الناس على يـد زبانيته حيث قال بضمن خطبتـه: (مـن أعياه داؤه فعنـدي دواؤه، ومن اسـتطال أجلـه فعلـي أن أعجله...) ثم تسلسـل بكلامه الشـنيع فوصل الى مقولته التي تظهر كل الحقد والاستهتار بحيـاة الناس وهي (إني أرى رؤوسـاً قد أينعـت وحـان قطافها) حتـى أوقع فيهم المذابح الشـنيعة والمجازر الرهيبة التي جـرت الويـلات على البصـرة وكانت حوادث شـؤم علـى جامعهـا لتخلف ما قـام بـه الحاقـدون علـى المؤمنين في محاربتهم على مر العصور، كما كان ذلك بالنسـبة لعموم الوضـع في العراق في العهود الأولى.

التاريخ العلمي للمسجد

غني عـن التعريـف ما للإمـام أمير المؤمنيـن عليه السلام من فضل في نشـر العلم والمعرفـة والثقافـة الإنسـانية وروح الاطـلاع والتفكيـر فـي الله تعالـى، فكان المسـجد أشـبه بمدرسـة جامعة انتشـرت في أروقتـه الواسـعة حلقات الـدرس لمختلف العلوم ففاض بمعشـر العلماء الذين يتخذون من جنباته أركاناً للتعليم فكان رواده يرضعون لبن علوم التوحيـد والتفسـير والسـنة والآداب والكمـال مـن جهابـذة علمـاء البصرة فتخـرج فيه من كانت لهم اليد الطولى فـي الحديـث والفقه والنحو والتفسـير وغير ذلك وكم يطأطئ التاريخ رأسـه لكثير من الزهـاد والعباد الذي ضمهم المسـجد الجامع بالإضافة إلى ما كان فيه من أصحاب رأي يتباحثون ويتناظرون بحرية واطمئنـان على اختلاف طبقاتهم وأعمارهـم ويتصدرون على مسـاندهم الموضوعـة جنـب سـواري المسـجد لكل عالم حلقة حتى عرفت كل حلقة بعالمها وإن الداخل إلى المسـجد آنذاك لا يسـمع إلا جرير الأقلام ودوي طلاب العلم في الدرس والإلقاء كدوي النحل في الملاقـح، ويذكر أن هنـاك أبياتاً للشاعر المضجع البصري:

ألا يا جامع البصرة لا خربك الله
وأسقى صحنك المزن من الغيث فرواه
بقرآن قرأناه وتفسير رويناه
وكم من طالب للشعر بالشعر طلبناه

ويذكـر صاحـب كتـاب (الديباج

إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا

المذهب) ص٣٨ إنه كان يقف عند رأس بعض المشايخ أثناء الدرس اثنان يسمعان الناس ما يمليه عليهم الأستاذ لكثرة العلم وقد وصف ذلك الحريري في مقامته البصرية عندما قال: (فلم أر الإطفاء ما بي من الجمرة، إلا قصد الجامع بالبصرة، وكان إذ ذاك مأهول المساند، مشفوه الموارد، يجنى من رياضه أزاهير الكلام، ويسمع في أرجائه صرير الأقلام).

ونذكر قسماً من أهم حلقات الدرس التي كانت في المسجد الشريف فيذكر صاحب كتاب (الإسلام في دار السلام) ص٥، إن أول حلقة اتخذت في المسجد وأقرئ فيها القرآن هي حلقة جعفر بن أبي الحسن[١٧]، وإليك جملة من بعض حلقات الدرس التي ألقيت في المسجد:

- حلقة أبي الأسود الدؤلي: وهو أول واضع لعلم النحو بإشارة وتوجيه من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأخذه عنه يحيى بن يعمر وعنبسة بن معدان بن الأقرن وكانت حلقة أبي الأسود من أكبر وأوسع وأشهر حلقات الدرس في المسجد، ومما هو شهير لأبي الأسود الدؤلي قوله: (الملوك حكام على الدنيا والعلماء حكام على الملوك).

- حلقة الأسود بن سريع بن حميري: أحد بني سعد وكان قاصاً للمواعظ والحكم والحديث ويذكر الشيخ باش أعيان في موسوعته أنه أول من قص بالمسجد.

- حلقة يونس بن حبيب النحوي: وكان ينتاب الى حلقته طلاب العلم وفصحاء العرب ووفود البادية حتى جلس الرشيد في حلقته يوماً.

- حلقة الحسن البصري: وكان أن حضر عنده جملة من طلاب العلم ويذكر أنه في حلقة الحسن البصري طلق الفرزدق زوجته (نوار) أمام الحسن البصري لكنه قال:

ندمت ندامة الكسعي لما
غدت مني مطلقة نوار
ولو أني ملكت يدي ونفسي
لكان إلي للقدر الخيار[١٨]

- حلقة سيبويه: النحوي المشهور وصاحب كتاب (الكتاب في النحو).

- حلقة كيسان بن المعرف: النحوي الذي ذكر له ابن منظور في كتاب (أخبار أبي نؤاس) ج١ ص١٥٣ قصة طريفة مفادها أن صبياً سأله عن معنى لفظة (العيس) فقال له: تعني الإبل، فقال الصبي: ما الإبل؟ فقال: الجمال، فقال الصبي: ما الجمال؟ فوقف على أربع ورغا وقال للصبي: الذي تراه طويل الرقبة وهو يقول... بوع!!

- حلقة أبو العباس المبرد: الأديب النحوي وصاحب كتاب (الكامل).

- حلقة الخليل بن أحمد الفراهيدي: النحوي اللغوي الطريف المشهور صاحب كتاب (العين) وواضع أصول العروض في الشعر ومن اللطيف ذكره إن الخليل هذا مات ضحية للعلم حيث أراد أن يخترع مسألة في الحساب بحيث لا يستطيع البائع ظلم جارية بدرهم واحد فدخل المسجد وهو يفكر في فكرته هذه فصدمته سارية من سواري المسجد فانقلب على ظهره وكانت تلك الصدمة سبباً لموته.

- حلقة الجاحظ: الأديب النحوي

المشهور وصاحب كتاب (البيان والتبيين).

أما أهم حلقات الدرس بعد واقعة الزنج فهي حلقة الحسين بن منظور الحلاج الذي يذكر أنه صلب على جسر بغداد سنة (٣٠٩هـ/٩٢١م) بسبب ما نسب إليه من أقوال الكفر والزندقة، وكذلك حلقة أبي يعلى العبدي البصري أحمد بن محمد الصواف شيخ المالكية في العراق في البصرة والذي توفي سنة (٤٠٩هـ/١٠٩٦م).

مصحف المسجد الشريف

يقول السجستاني في كتاب (المصاحف) إن مصحف البصرة بقي في مسجدها ومن المحتمل أن تكون قد التهمته النيران التي أشعلها الزنوج في البصرة ولكن البستاني يذكر في كتاب (دائرة المعارف) ج٥ ص٤٥٦ (سلب هذا المصحف وأخذ إلى سمرقند ومنها إلى روسيا وهو الآن في مكتبة بطرسبرغ الملكية) يعني في عهده هو.

أما صاحب كتاب (موسوعة تاريخ البصرة) الشيخ عبد القادر باش أعيان فيذكر في كتابه (لما كنت في مصر سنة ١٩٣٩ زرت مكتبة دار الآثار العربية بالقاهرة وبصحبتي طالبان من طلبة البعثة العراقية في كلية الآداب فرأينا مصحفاً كبيراً بين المصاحف العديدة منقول بالتصوير الشمسي كتب تحته ما ملخصه ـ وقد نقلت صورته الشمسية في بلدة أوزبكستان في روسيا وإن هذا المصحف من حسن الحظ احتفظ به الروس بعد الثورة الشيوعية ـ وحين نمعن النظر في خطه الكوفي نجده من مخطوطات أواخر القرن الثالث الهجري نظراً لما فيه من تحسين واختلاف عن خط القرن الأول.

تسمية المسجد

سمي بالمسجد الجامع أيام عتبة بن غزوان ثم سمي بـ(جامع البصرة الكبير) أو (جامع أمير المؤمنين الإمام علي) أو (جامع خطوة الإمام علي) لأن أمير المؤمنين خطى إليه بخطواته أو تخطى الى منبره وقد ذكر ذلك الرحالة بن بطوطة في رحلته وقد دخل البصرة في القرن الرابع عشر الهجري قوله عن البصرة وأهلها: (لهم مكارم أخلاق وإيناس للغريب وقيام بحقه فلا يستوحش بينهم غريب وهم يصلون في مسجد أمير المؤمنين علي ويأتونه في الجمعة وهذا المسجد من أحسن المساجد، صحنه متناهي الانفساح ومفروش بالحصباء الحمراء التي يؤتى بها من وادي السباع والمسجد هذا على نحو ميلين من البصرة فسألت عنه فقيل لي هو مسجد علي بن أبي طالب ولهذا المسجد سبع صوامع إحداها تتحرك عند ذكر علي)[١٩].

المسجد اليوم

كما مر أنه لم يبق من هذا الجامع سوى الجانب الشمالي لأحد أركانه الأربعة الرئيسية وكادت أن تندثر بقية المعالم التي بقيت هنا وهناك على التراب لولا أن قام جمع من المؤمنين من أهالي البصرة وكان من بينهم الحاج جبار (أبو ستار) والشيخ محمد المطوري وغيرهم كثير من المؤمنين ببناء سور الجامع الحالي الذي بلغ طوله

(٢٢٥م) وعرضه (١٦٥م) وهو خارج حدود الجامع الأصلي بـ(١٥م) تقريباً حفاظاً على الأثر القليل المتبقي من بقايا سور الجامع الأصلي القديم وبني بعد ذلك المسجد بداخله والذي يبهر الناظر إليه حيث بني على شكل سفينة له منارة ترتفع بـ(٢١م) منفردة عنه على جانبه الغربي وله قبتان يبلغ ارتفاع أكبرهما حوالي (١٤م) عن الأرض وبقطر (٥م)، وقد زين الجدار الداخلي لها بكتابة الآية الشريفة (ويطعمون الطعام على حبه...) بخط الثلث الجميل وترتكز على (١٢) عمود محاطة بفتحات للتهوية عند قاعدتها، وأما القبة الأخرى والواقعة فوق المدخل إلى الجامع فترتفع لـ(١١م) وقطرها (٥،٢م)، وقد كتب على جدارها الداخلي (سورة الأعلى) بخط الثلث.

وتبلغ مسافة المسجد من الباب إلى المحراب (١٢م) تقريباً، وعرضه مسافة (٢١م) وتوجد على جداره الخارجي خمسة أجنحة تحيط به لتعطيه جمالاً فوق الجمال والهيبة التي هو عليها وسمي الجامع باسم (جامع خطوة الإمام علي) أيضاً. وعلى بعد أمتار باتجاه الشمال يقع الأثر الشاخص إلى اليوم رغم حوادث الزمن ومراراته وهو الركن الرابع لأركان الجامع الأصلي القديم وشكله كما وصفه لنا أمير المؤمنين عيناً...!!

يبلغ ارتفاعه (١٥م) وقطره الدائري (٣م) وقاعدته المربعة الشكل والتي يبلغ كل ضلع من أضلاعها (٥،٢٥م) وأما بقايا الجدار الملاصق له فيبلغ سمكه حوالي (٥،٢م) وهو واضح المعالم، وعلى الجانب الشرقي في الجامع القديم وفي أطرافه تحديداً تجد بقايا الإيوانات (الأساطين) المتبقية كآثار للجامع القديم والبالغ عددها (٦٧) قطعة دائرية الشكل بين كاملة القطر ومثلمة، وأن العامرة منها، تبلغ (٣٠) قطعة يبلغ قطرها بين (١-٥،١م) ونصف قطرها (٤٠سم) حيث يتوسط كل منها ثقب قطره من (١٠-١٣سم) وإن أصغر تلك الأساطين يبلغ قطرها (٤٦سم) وعددها (٣) فقط ويبلغ سمك الواحدة منها حوالي (٤٢سم) وإن ممعن النظر فيها يجد أن فيها بقايا لآثار كتابات بالخط الفارسي لكنها غير واضحة المعالم، وقد طمر بعض تلك الأساطين تحت التراب، ويقع بجانبها بقايا السور القديم الذي كان سوراً عظيماً ضخماً آنذاك.

وقد زينت أرضه الخارجية عند مدخله بالحدائق والزهور وشيد عليها نصب (الخالدون) الذي ترى في وسطه راية محاطة بسيوف على شكل سيف ذي الفقار وتحتها دروع تحيط بالنصب وعبارة (لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار) وإن جموع الزائرين تطوف بالمشهد المقدس وكأنهم لاذوا بسفينة المساكين وزيارته عامرة تزداد فيها الجموع ليلة الجمعة ويومها وكثير من السياح يتطلعون إلى هذا المجد الخالد وكأنه يخبر ناظره قائلاً إن الحق يعلو ولا يعلى عليه فالسلام عليك أمير التقاة وعلى الدماء التي سالت في هذا المكان الشريف لا لذنب سوى دينهم وولاية الحق المبين. فحقت كلمة ربك صدقاً وعدلاً وصدقت يا مولاي حينما أخبرت وقلت أنه لا يبقى من هذا

أساطين المسجد القديم

المكان سوى الأثر الذي وصفته عيناً... كجؤجؤ سفينة في لجة البحر!!
فالسلام على صانع التاريخ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ■

(١) دائرة المعارف، البستاني، ج٥ ص٤٥٤.
(٢) موسوعة تاريخ البصرة، عبد القادر باش أعيان.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) دائرة المعارف، البستاني، المجلد الخامس، ص٤٥٤.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) موسوعة تاريخ البصرة، عبد القادر باش أعيان.
(٧) رحلة ابن بطوطة، وكذلك دائرة المعارف للبستاني.
(٨) ابن الأثير، ج٣ ص١٧٢.
(٩) معجم البلدان، ج٢ ص١٩٦ وما بعدها.
(١٠) كتاب المعارف لأبن قتيبة، وفتوح البلدان، ص٣٥٧.
(١١) المنتظم، ج٦ ص١٤٥ وص١٧٣.
(١٢) ابن الأثير، موسوعة تاريخ البصرة، دائرة المعارف للبستاني.
(١٣) حوادث الجامعة، ص٣٣، الأغاني، ج٦ ص١٨٤.
(١٤) الإمامة والسياسة، ج٢ ص٣٢.
(١٥) المنتظم، ج٦ ص١٧٣.
(١٦) راجع جمهرة خطب العرب، ج١ ص١١٩.
(١٧) موسوعة تاريخ البصرة، جمهرة خطب العرب.
(١٨) وأيضاً يذكر ذلك صاحب كتاب (فتوح البلدان) ص٣٥٤.
(١٩) خلاصة الذهب المسبوك، ص٢٧.

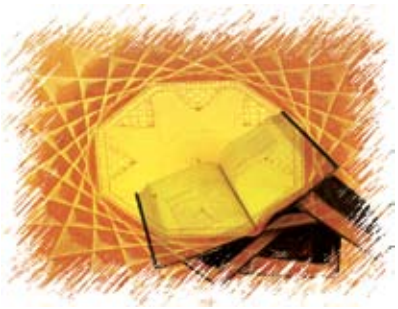

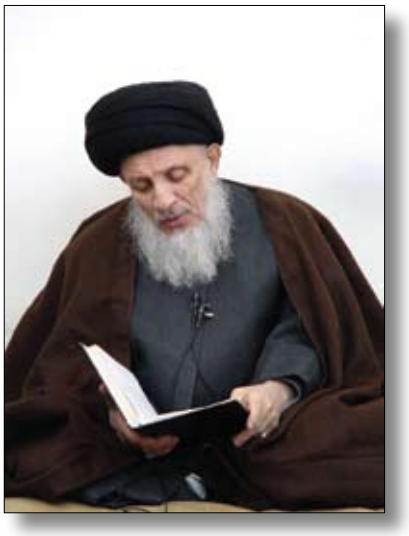

يعلن باب (في رحاب الفقه)
عن استعداده
للقراء الكرام في
استقبال أسئلتهم الفقهية،
والإجابة عنها في ضوء فتاوى
سماحة المرجع الديني الكبير
السيد محمد سعيد الطباطبائي
الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س: ما حكم التداعي إلى الجائر بين المؤمنين لو ثبت اعتداء أحدهم على الآخر في قضايا اختراق كمبيوترية أو تخريبية؟ مع أنه من المحتمل أن يتعرض لعقوبة مالية أو غيرها؟

ج: مع امتناع المُعتدي من الترافع للحاكم الشرعي يجوز للمعتدى عليه الترافع للجائر من أجل استحصال التعويض عن حقه، غاية الأمر أنه إذا حكم له بأكثر من حقه وجب إرجاع الزائد له.

أما إذا لزم عقوبته بدنياً أو مالياً لا بعنوان التعويض، بل نظير الضريبة التي تأخذها الدولة، فإن كان ذلك من أجل تحصيل التعويض جاز، لسقوط حرمته بامتناعه من التعويض.

وإن كان ذلك عقوبة مجردة من دون أن يتحصل التعويض معها لم يجز الترافع مع احتمال إيقاعه بالمؤمن، إلا لاستدفاع شره فيما بعد، أو للنهي عن المنكر

لـو توقفا على ذلـك، ولا بُـدَّ حينئذٍ من مراجعة الحاكم الشرعي.

س: طالـب الحـوزة مثلاً قـد يشـتري بعـض الكتب التي يسـتفيد منهـا فعلاً أو مسـتقبلاً، فهل يجـب عليه الخمس إذا حال عليها الحول ولم يقرأهـا؟ أو قرأ جزءاً من دورة منها؟

ج: إذا لـم يقرأها وينتفـع بها الانتفاع المطلوب منها يجـب الخمس فيها، وإذا انتفـع ببعضهـا الانتفـاع المطلـوب منها فـإن كانـت مرتبطة بعضهـا ببعض بيعاً وشراء بحيث لا ينظر إليها إلا بمجموعها لم يجب الخمس فـي الكل، وإلا وجب الخمس فيما لم ينتفع به منها.

س: لو أن صاحـبَ المال أعطـى العامـل مـالاً، وقال لـه: تتصـرف بثلثـي المال، ويبقـى الثلث الأخيـر أمانة في ذمته، فلـو تصرف الأخير بعد مـدة بذلك الثلث وأودعه عند شخص ثالث، وأنكر هذا الشـخص المال على العامل، فهـل لصاحب المال دخل في هذه الخسارة (ثلث المال)؟

ج: الظاهـر مـن السـؤال أن ثلـث المدفـوع أمانة بيـد من اسـتلمه، وعليه: فلـو كان الإيداع عند الشـخص الثالث تفريطـاً بالأمانـة، أو مخالفـاً لشـرط المالـك، وجـب ضمانهـا، وإن لم يكن تفريطاً، ولا مخالفة فيه للمالك، لم يجب الضمان.

س: الإيـداع فـي البنوك المتعاملـة بالربـا الأهليـة والحكومية وغير المسلمة، هل يجوز؟ المعـروف أن الفقهاء يعلقون الحكم على اشـتراط الزيادة، طبعاً ليس في التعامل مـع البنك اشـتراط إضافي، بل يتم التعامل على أسـاس مقـررات البنك التـي تلزمه بدفع الزيادة للعميل، حتى إن الناس يختـارون البنك على أسـاس دفعه الزيادة الخاصة من دون اشتراط خاص منهم أثنـاء المعاملـة معهم، فهل يجوز ذلك؟

ج: يكفـي في اشـتراط الزيادة دفع المال للبنك جَريـاً على مقتضى قوانينه، وحينئـذ يجـوز الإيـداع المذكـور في البنوك غير المسـلمة، لعدم حرمة الربا بيـن المسـلم والكافـر إذا كان آخـذ الزيـادة هـو المسـلم، كما يجـوز في البنـوك الحكوميـة إذا كان الإيداع لا بداعي اسـتحقاق الزيادة، لعدم الاعتداد بقصـد الحكومـة، وحينئذ يجـوز أخذ الزيادة لا بعنوان الاستحقاق، بل من باب الاستنقاذ نظير سائر ما يؤخذ من هبات الدولة، حيث يحل بإجراء وظيفة مجهول المالك على المال.

أمـا إذا كان البنـك أهليـاً إسـلامياً فـلا يجوز الإيـداع فيه بناء علـى قوانينه المرعية للزوم الربا المحرم.

ويا حبذا لو تحـل البنوك المذكورة المشـكلة بالإعـلان عن أن مـن يتجنب شرط الزيادة خوف الربا تكون الزيادة له هبـة محضـة ابتدائية، وتنفـذ وعدها

المذكـور بدفع المال علـى نحو الهبة، وإن لم يجب عليها تنفيذه شرعاً.

س: إذا أراد المكلف تقليد عالـم وجد أنـه الأعلم، فهل يجب توفر رسالته العملية في داره أو في المسجد؟

ج: المهـم فـي المقـام هـو الاطلاع علـى فتاوى المرجع ليعمل عليها، سـواء كان الاطلاع بالرجوع للرسـالة العملية المطابقة لفتـاواه، أم بنقل الثقة لفتاواه، أم مـن سـؤاله بالمباشـرة كتابـة أو مشافهة.

س: صلاة الآيـات إذا كان الإمام قد صلاها أداء أو قضاءً، ثـم حضر بعـض المأمومين الذين لم يصلوها وطلبوا من الإمـام أن يصلـي بهم صلاة الآيـات جماعة، فهـل يجوز للإمام إعادتها ولو استحباباً؟

ج: لا يشـرع تكرارها فـي القضاء، ويشـرع تكرارهـا فـي الأداء مـا دام القـرص محترقـاً، بـل هـو مسـتحب، والظاهر جواز الائتمام بمن يعيد الصلاة حينئذ، وإن لم تكن واجبة في حقه.

س: شـخص يصلي وجاء آخر فأخذ التربـة من أمامه فماذا عليه أن يفعل؟

ج: يحـاول أن يحصـل علـى ما يصح السـجود عليه ولو بالمشي قليلاً من دون أن يؤثـر ذلك علـى الاسـتقبال، وإذا لم يمكنه ذلك جاز له إبطال صلاته والبحث عما يصح السجود عليه.

س: ما هـي ضابطة حلية أكل لحم الحيوانات البرية؟

ج: يحـرم بالـذات كل ذي نـاب، وجميـع السـباع، والـدب، والفيـل، والأرنـب، والقرد، والضـب، والفأرة، والجـرذ، والأحـوط وجوبـاً اجتنـاب الحشـرات، واليربـوع، والقنفـذ، بـل الاقتصـار في الأكل علـى الإبل والبقر والغنـم الأهليين والوحشـيين، والظبي، واليحمـور، وحمـار الوحـش، والحمار الأهلي، والفرس، والبغل، على كراهة في الثلاثة الأخيرة.

س: تنتشـر بين الشـباب المؤمن الآن ظاهرة العرفان، والروحـان، والعالـم بـالله، والعارف بالله، والسـالك و... الخ، وغيرها من الألفاظ التي تجـذب الشـباب المؤمن، ما معنى هذه الألفاظ؟ وهل هذا الطريق واجب على المكلفين أم لا؟ وإن لم يكن واجب فهل سـلوكه صحيح؟ وكيف يكون السلوك؟ وغيرها من الأسئلة حول هذا الموضوع.

ج: هذه ألفـاظ تبتني علـى دعاوى لا برهـان عليهـا، ولا تسـتقي مـن معارف أهل البيت (عليهم السـلام) بوجه يصلح الاحتجـاج عليـه، فالـلازم الحـذر ممن يدعـي ذلـك، فإنهـم بين مغفـل مغلوب علـى أمره ومضلل مفتر يخشـى منه على الديـن والمؤمنيـن، وربمـا يصـل بهـم الأمـر إلـى تحليـل المحرمـات وانتهاك الحرمات، كمـا وصل إلى ذلك غيرهم وإنـا لله وإنا إليه راجعون، فإنه لا سـوق

لهذه الدعاوى إلا بين الناس البعيدين عن المعارف الحوزوية الأصلية، بسبب ضعف الحوزة وقلة الممثلين الصحيحين لها.

س: ما هو حكم صناعة الفيروسات المهاجمة؟ سواء ليستعملها أو لا؟ ولكنها عرضة لحصول الغير عليها، فما هو حكم تلك الصناعة؟ وما هو الضابط الشرعي فيها؟وكذلك بالنسبة لصناعة البرامج التجسسية الخاصة للمكلف على الآخرين؟ أو لم يستعملها ولكنها عرضة للاستعمال من قبل الغير؟

ج: صناعة الفيروسات ليست محرمة في نفسها، وإنما يحرم استعمالها في الإضرار بمسلم، لحرمة ماله ودمه، وكذلك الحال في تمكين الغير من استعماله في ذلك، لأنه من إعانة الظالم في ظلمه الذي لا إشكال في حرمته.

أما مجرد احتمال استيلاء الغير على الفيروسات واستعماله لها في الإضرار بمسلم من دون تمكين له من قبل صاحبه فهو لا يمنع من صناعته وخزنه، نظير صناعة السوط مع احتمال سرقة السارق له ليضرب به المؤمن.

وكذا التمكين من استعماله من دون علم باستغلاله في الإضرار بمسلم، نظير بيع السوط لمن يحتمل استعماله له في الإضرار بمؤمن، لعدم تعمد الإعانة على الظلم في الجميع.

اللهم إلا أن يكون الضرر من الأهمية بحيث يعلم باهتمام الشارع الأقدس بالاحتياط والتحفظ من احتمال حصوله بقطع مادته، وهو فرض نادر لا ضابط له.

وأما البرامج التجسسية الخاصة، فإن أريد بها برامج التجسس على الإنسان من أجل الاطلاع على خصوصيات حياته وتصرفاته التي يتكتم بها ويسترها، فحرمة التجسس على المؤمن تقتضي حرمة ما يتعلق منها بالمؤمن.

وأن أريد بها فك برامج الشفرة الخاصة للموقع من أجل استحصال المعلومات العلمية والثقافية منه، فهو ليس محرماً، لعدم صدق التجسس عليه، وعدم ثبوت حق شرعي للإنسان في الاختصاص بمعلوماته وثقافته، بحيث لا يجوز الاطلاع عليها إلا بأذنه.

نعم إذا لزم منه التصرف في جهاز الغير وإعماله من أجل استحصال المعلومات منه حرم التصرف المذكور فيه بغير إذنه إذا كان محترم المال.

س: زيد طلب من عمرو أن يقرضه قرضاً حسناً لشراء سيارة، ولم يعين زيد لعمرو الأجل، فقال له بشرط إذا لم تشتر السيارة ولو بعد عشر سنوات لا يحق لك أن تتصرف في هذا القرض لغيرها، فيجب عليك إرجاع المال، فبقي المال عند عمرو إلى أن جاء رأس سنته فهل يجب خمس هذا القرض؟

ج: لا يجب خمس هذا القرض كما ذكرناه فيما سبق ■

قصة قصيرة:

المدير الجديد

بنت العراق •

ينابيع

راح أبو سالم يلملم أوراقه محاولاً إظهار تبجحه القديم وإخفاء خيبته وانكساره بينما تناوب موظفيه على اختلاس النظر إليه بين الحين والآخر... دون أن يظهروا الشماتة لا تعاطفاً وإنما نوع من الخوف القديم لازال مسيطراً عليهم.

ما أن خرج حتى تنفس الموظفون الصعداء... وراحوا يتذكرون أيامه السوداء ومواقفه السيئة مع كل منهم وشعروا بالحرية لأول مرة بعد أن جاء قرار إقالته من الإدارة لانتمائه إلى النظام السابق....

واجتمعوا وتناقشوا فيما بينهم من سيكون المدير الجديد؟! وبما أن الدائرة العليا أعطتهم حق انتخاب المدير الجديد وقد أجمع معظمهم على اختيار أبو ناصر مديراً لهم... وبشفافية تامة تم انتخاب أبو ناصر الذي بدا متردداً مع تحمل هذه المسؤولية... ولقد أصر عليه زملائه فهو طيب جداً وعطوف ومتواضع ولا يمكن أن يكون متسلطاً أو مستغلاً... وأصبح أبو ناصر مديراً للدائرة... وكان بسيطاً جداً... وطيباً. وغالباً ما يترك كرسيه ويجالس الموظفين ويشرب الشاي معهم بل ويساعدهم في إنهاء أعمالهم.

ومر شهر... شهران... شعروا بالحرية... ولكن في الأمر أكثر من حرية!!! فقد تغير الحال... أصبحت الدائرة بلا مدير بإدارة أبو ناصر... لأن طيبته تمنعه من محاسبة الآخرين... أو معاقبتهم... أو التعامل بشيء من الحزم معهم ولأنه طيب ويخجل من زملائه فقد أصبح محط استغلال من قبلهم فمعظم موظفيه يأتي متأخراً ويغادر باكراً وما أكثر الإجازات المرضية والزمنية والظروف الخاصة والعمل متراكم لا يجد من ينجزه. والإهمال واضح وأبو ناصر لا يحتمل الوضع يعتب عليهم بكل أخوة... والعتب لا يجدي نفعاً... الإدارة تحتاج إلى قوة وحزم وأنى له ذلك... وفي اجتماع طارئ قدم أبو ناصر استقالته لموظفيه... وعادت الدائرة بلا مدير ومن جديد وبكل ديمقراطية تنافس اثنان منهم لإدارتها.

وانقسم الموظفون إلى حزبين... وظل المتنافسان وحزباهما على الإدارة

يتشاجران... وكل يعد مواليه خيراً إن فاز بها... ولم يعد الكادر كالعائلة الواحدة كما كان فقد دب بين الموظفين الخصام وتمت الانتخابات تحت إشراف الدائرة العليا... وتساوت الأصوات!! ولم يحض أي منافس بالفرصة للفوز... ولم يتنازل أي منهما لصاحبه... فلم يجد بداً من المناداة على (أبو الجاي) أبو علي ليدلي بصوته عسى أن يحسم النزاع... إلا أن هذا الأخير بعد أن رأى نظرات المتنافسين الموجه إليه التزم الحياد وقاطع الانتخابات....

وبقي الخلاف قائماً... ولم يكن ليمل أبداً... لأن كل منهما يحمل في داخله الطموح والخوف... طموحه في أن يكون مديراً وخوفه من أن يخسر ذلك فكيف سيكون حاله إذا أصبح نده مديراً عليه...

لو أدلى أبو علي بصوته لحسم الأمر... لكن ربما لم يجد في المتنافسين من يستحق الفوز أو ربما مازال الخوف مسيطراً عليه يمنعه أن يدلي بصوته ويعبر عن رأيه بحرية... أو ربما رأى في الاعتزال سلامة... فآثر سلامته وراحة باله على أي مصلحة أخرى.

لم يعد الأمر يطاق... اجتمع كل من في الدائرة عسى أن يجدوا الحل... وتقرر أن يكون أحد المتنافسين مديراً والآخر معاوناً له. ولكن!! كل منهما يريد أن يكون المدير... اجتمعوا... بإصرار... فقد آن لهم أن ينهوا هذا الخصام... وكثرت الاقتراحات... واختلفت الآراء وتعالت الأصوات....

هناك دخل عليهم رجل متجهم الوجه...

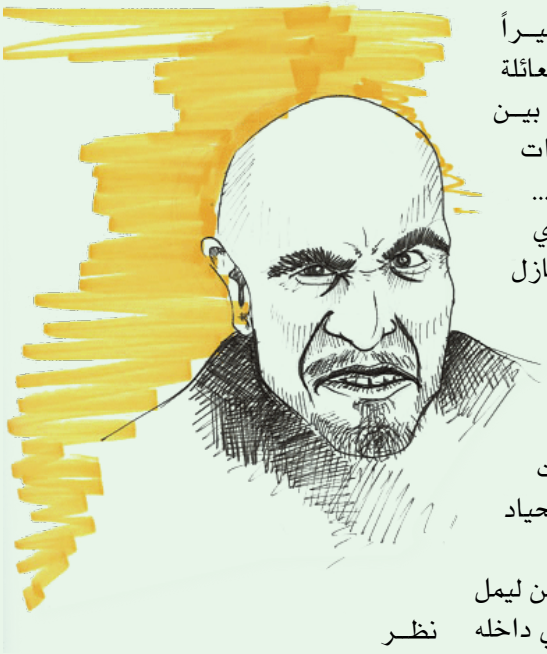

نظر إليهم مستاءً من تعالي أصواتهم... وقال لهم بحدة... لماذا تخوضون في أحاديث تافهة وكل منكم تارك عمله؟!! فنظروا إليه بدهشة... وقبل أن يستفهم أي منهم عن هويته قال... لقد سئمت الدائرة العليا هذا النزاع إن كنتم غير قادرين على حل مشاكلكم فقد جاء من هو قادر على ذلك... أنا المدير الجديد (أستاذ رشيد).

أرسلت إلى هنا لكوني بقدر المسؤولية شعاري العمل فوق كل شيء... لا إجازة ولا استراحة سوف يكون نظام الدائرة مثل الساعة... أنا المسؤول عن كل شيء هنا....

... بدأ يلقي تعليمات عليهم كالخطيب... وما أسرع ما تذكروا السطوة السابقة للمدير السابق أبو سالم... النظام البائد لم يعد بائد... لقد أعادوه بأيديهم... لهذا أجمعوا على تسميته (أبو سالم الجديد) ■

الشيخ جعفر النقدي..

محاور مضيئة من السيرة العطرة

حيدر المجد •

ينابيع

على ضفاف نهر دجلة المعطاء، استقرت مدينة العمارة بأبنيتها المتواضعة وبساتينها الجميلة، وفي صباح ندي أذنت به شمس يوم ١٤/ رجب ١٣٠٣هـ المصادف ١٨ نيسان ١٨٨٦م فاقت المدينة كعادتها، ولكن رأت في صباحها هذا وجهاً صبوحاً لمولود قدر له أن سيحمل في يوم مشعل العلم والمعرفة والأدب وليكن رمزاً تفتخر به أمته قبل مدينته وأسرته إنه العلامة الشيخ جعفر النقدي (رحمه الله).

وقد أرخ أحد الأدباء عام ولادته بقوله:

بشرى بني النقدي أرباب العلى
في مولد أضحى به بشر البشر
خذ واحد العصر وقل في جعفر
حقق بقد وأرخ (الدّين ظهر)

هو جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد تقي بن الحسن بن الحسين بن علي النقي الربيعي النوازي النجفي الشهير بالنقدي[1]، وقد اجتهدت بالبحث عن معنى لقب (النقدي) فلم أعثر على سبب إطلاق هذا اللقب على الشيخ، وقد دار في ظني أن سبب اللقب ربما قد أتى من أحد أمرين:

١- إن والد أو جد الشيخ جعفر كان يتعامل في مجال الصيرفة والتجارة بالنقد، فلقب بالنقدي وجرى اللقب على أبنائه وأحفاده.

٢- إن والده أو جده كان يسكن (نَقَدة) وهي مدينة تقع اليوم في أراضي إيران الشمالية الغربية المحاذية للحدود العراقية، ثم انحدر نحو العمارة واستوطنها فسمي بالنقدي وتسمى به ذريته من بعده.

مهما يكن من أمر فقد كان النقدي ينحدر من أصولٍ عربيةٍ خالصة تجذرت في دوحة ربيعة الوارفة.

نشأ الشيخ جعفر في بيت جمعت فيه أسباب الكرم والعلم، يقول الخاقاني: (كان أبوه الحاج محمد من أرباب الثراء وذوي اليسار والإحسان، فحضي بتربيته وغذاه بروحه فكان مثالاً للأخلاق العالية والاتزان)[2]، أما الأستاذ عبد الحميد الكنين فيقول: (انحدر الرجل من عائلة متوسطة الحال سكنت العمارة عن هجرة لا أدري من أين مصدرها، كما هو الحال لأهل كل بلد حديث)[3]، وهنا نلاحظ التباين بين القول الأول حيث عد أهله من أرباب الثراء، والثاني الذي نسبه إلى عائلة متوسطة، وفي القول الثاني إشارة إلى أن مدينة العمارة أحدثت سنة (١٨٦٠م)[4]، لتكون مركزاً للقوات العثمانية للسيطرة على تمرد مقاتلي قبيلتي آلبو محمد وبني لام.

ولع منذ طفولته بالعلم والأدب حيث بدت رغبته في الدرس وهو بعد لم يبلغ العاشرة، وعندما بلغ مرحلة الصبا بعثه أبوه إلى النجف الأشرف حيث أبواب العلم المشرعة وحياض المعرفة المترعة ونوادي الأدب الزاخرة، وفيها وجد الشيخ جعفر ضالته فراح يجد السعي ويواصل الدراسة في اجتهاد ملحوظ إلى أن بلغ المراحل العليا من دروسه، (حيث حضر دروس أساطين المدرسة العلمية الكبرى، فقد حضر على السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي فقهاً، والشيخ كاظم الخراساني الشهير بـ(الآخوند) أصولاً، ثم اختلف إلى درس السيد هبة الدين الشهرستاني ليتلقى فيه علوم الهيئة والحساب)[5].

ومن الطبيعي أن تبقى العمارة تترقب أخبار ولدها وقد تواردت إلى مسامعها نبوغه العلمي وتقدمه في بلوغ مرتبة العلماء وما أن حل (١٣٣٢هـ/١٩١٥م) حتى توفي والده الحاج محمد النقدي فقدم إليه جملة من وجهاء البلدة يطلبون منه العودة إلى مدينته ومسقط رأسه وقد عاضدهم في رأيهم (طلب أستاذه السيد محمد كاظم الطباطبائي منه في التوجه إلى العمارة للدعوة والتوجيه والإرشاد وبث روح العلم والمعرفة وملاحظة الدعاوى الشرعية وإقامة المآثر والمساجد)[6]

فاستجاب النقدي لذلك وتوجه إلى العمارة فنزلها معززاً مكرماً (وقد توطن في محلة المحمودية الواقعة في القسم الجنوبي الشرقي من البلدة، وكان بيته عبارة عن ندوة علمية مستمرة للدوام يرتادها كل من تطلع إلى المعرفة، وفي ذلك الوقت كان مورده يتألف من مساعدات مالية تأتيه من أخوان له يمتهنون الزراعة، ومن آخرين يديرون أعمالاً تجارية وكان بذلك متطامناً

إلى عيشه المتواضع الحلال)[٧].

لقد مارس النقدي دوره كمرشد منذ أن نزل العمارة حيث يقول الخاقاني: (ما أن حل في بلده حتى أخذ يوجه الناس إلى كثير من الأمور التي غفلوا عنها بالخطابة والوعظ والإرشاد فرأى الناس فيه الرجل الصالح والمصلح والقائد المربي، انتفعوا به نفعاً حببه إلى معظم الطبقات وانقاد لرأيه سائر وجوه البلد)[٨].

وكان من أهم أعماله الخيرية قيامه ببناء جامع كبير في العمارة سمي باسمه تكريماً لدوره في توعية مجتمع غلبت عليه الأمية والجهل، وهو يرزح تحت وطأة الاحتلال العثماني.

كانت مسيرة شيخنا النقدي العلمية تتضمن محاور ثلاث، تنوعت خلالها نتاجاته التي جعلها وقفاً لهدفه الأسمى، نصرة الدين الإسلامي والدفاع عن مرتكزاته الفكرية، والمحاور هي:

١- توليه منصب (القاضي الشرعي):

يقول الكاتب عبد الحميد الكنون: (عندما احتل الجيش البريطاني العمارة في ١٥ مايس سنة (١٩١٥م) كان في طليعته السير برسي كوكس والكولونيل لجمن، اللذان باشرا إعادة تشكيل الجهاز الإداري، على قدر معلوماتهما المسبقة عن حالة المحيط، وعلى قدر ما عرفاه عن أيام العباسيين في العراق، وما يتطلب الظرف الآني لذلك فقد أحدثا وظيفة تشبه النقابة في العهد العباسي ووقع الاختيار على اثنين من العلماء الأفذاذ وهما الشيخ سليم أفندي المفتي، والشيخ جعفر نقدي)[٩]، وكان الأول يمثل القاضي الشرعي السني أما شيخنا النقدي فقد عينوه ممثلاً عن الشيعة وأطلقوا عليه (نائب الجعفرية) وجوهر هذه الوظيفة يكمن في كونه يشكل حلقة وصل بين السلطة التنفيذية المحلية، وبين الأهالي وبواسطتها يرجع الحاكم العسكري للاسترشاد بـ(النائب) كلما طرحت أمامه قضية تستوجب الإرشاد.

فهل قبلها الشيخ أمر رفضها؟

وكانت حكمة الشيخ وحنكته تفرض عليه التروي في قبول هذا المنصب أو رفضه؟ وبالفعل فقد رأى في قبوله (إنه قد يحسب من المداهنين للانكليز ، الراضين عن سياستهم الداعية لتكريس احتلالهم العراق ونهب خيراته)، وبالفعل فقد رفض شيخنا النقدي وأبدى امتناعاً قوياً من تولي المنصب، (إلا أن الرأي العام العماري اتفق على أن لا يقبل غيره تتوفر فيه زعامة الدين والحكم عليهم فألزموه بالقبول وقابلهم بالرفض وبعد أن ورد أجبر على قبوله بموافقة وإلحاح جمع من أخوانه وأعيان بلده وكان ذلك عام (١٣٣٧هـ/١٩٢٠م) وقبل أن يباشر في منصبه سافر إلى بيت الله، وعند رجوعه وجد الشعب العماري متلهفاً إلى مرآه فقوبل بغاية الإكبار والاحترام، واستمر في القضاء الشرعي للعمارة حتى عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٦م)[١٠].

وقد عاصره الكاتب عبد الحميد الكنون فنقل انطباعه عن قضاء النقدي قائلاً: (... والله يشهد أن الشيخ جعفر كان معواناً لكل ضعيف، وسعفاً لكل محتاج، وشفيعاً لكل من لصقت به تهمة التي كانت تلفق عادة أيام الاحتلال ضد أناس أبرياء من قبل خصوم مغرضين)[١١].

ولا نعلم الظروف التي جعلت أهالي العمارة يتخلون عن مرشدهم، حيث نقل إلى قضاء بغداد وصار عضو في مجلس التمييز الجعفري هناك، ثم ما لبث أن انتقل إلى

قضاء كربلاء، ثم أعيد إلى مجلس التمييز ببغداد ومنه إلى الحلة حيث عين قاضياً فيها ثم انتقل إلى بغداد وهكذا ظل يتنقل الشيخ بين البصرة وبغداد والعمارة قاضياً مميزاً برجاحة الفكر وقوة الحجة إلى أخريات سني عمره حيث سكن الكاظمية، بعد أن أُحيل على التقاعد، وتفرغ للكتابة.

٢ـ مواجهته الحركات التبشيرية:

وظف النقدي طاقاته وجهوده في الدفاع عن الإسلام، خصوصاً في الفترة التي تواجد خلالها في العمارة حيث شهدت المنطقة نشاطاً تبشيرياً من قبل المسيحيين الذين ظنوا أن الفرصة مؤاتية لزرع خلايا تبشر بدين سينشر التعليم وينشأ المستشفيات ، فوقف الشيخ النقدي بوجهها، يسانده في ذلك الشيخ إبراهيم آل حبيب العاملي اللبناني المعروف بالمهاجر (١٨٨٦-١٩٦٥) والذي كان ممثلاً لمرجعية السيد أبي الحسن الموسوي الآصفهاني قدس سره في العمارة، وقد استقر الشيخ إبراهيم أربع سنوات في العمارة وافتتح فيها مستشفى ومكتبة ومدارس وأسس مجلة الهدى التي اوكل إدارة تحريرها للسيد عبد المطلب الهاشمي وكان شيخنا النقدي من اهم كتابها، وقد عزت الكاتبة صابرينا ميرفان ذلك النشاط الذي قام به الشيخ إبراهيم إلى (إحباط عملية التبشير التي بدأها المبشرون البروتستانت في المنطقة)[١٢].

تغلب على اللغة التي استخدمها النقدي في كتاباته روح العصر والانفتاح على استخدام المفردات الحديثة وقتئذ وقد ظهرت من خلال مقالاته التي نشرتها المجلات الرصينة والمعروفة سواء أكان ذلك على مستوى مجلة العمارة الأولى (الهدى)، أو على مستوى مجلات النجف، كالاعتدال والمرشد أو على مستوى مجلات لبنان مثل العرفان وغيرها، كما لاقت أفكاره المتمثلة في بحوثه المشورة رواجاً واسعاً في الصحف والمجلات المصرية.

لقد اتكأ النقدي في أطروحاته على

محافظة العمارة سنة ١٩٢٠م

كم هائل من المعلومات التي اطلع عليها والتي ترتبط بحركة النهوض العلمي والفكري في أوربا، وكان على علم فيما يجري في الكنيسة المسيحية وتاريخها ورجالها وما يصدر عنها من قرارات ومنشورات وبذلك استطاع أن يدحض الأنشطة التبشيرية.

وفي هذا المجال نلاحظ قوله: (يزعم المبشرون أن الموقف الحاضر في العراق يمكنهم الاستفادة منه بالتبشير والدعاية الدينية نظراً إلى التطورات الجديدة واليقظة الفكرية التي أقبل بها الشبان على المدارس وتعلم اللغات الأجنبية والى احتياج الشعب إلى مستشفياتهم وممرضاتهم وغيرها من المظاهر التي يتمكنون أن يجعلوا لها علامة حيوية بأنفسهم، وأخذ يشجع بعضهم بعضاً بالمحاضرات والمنشورات على اغتنام فرصة التبشير بإنشاء وسائل فعالة تناسب هذه التطورات...)[١٣].

إن المبشر الأمريكي (هـ. أ. بلكرت أنشأ مقالة منها: وعلى سعة إطلاعه على ما يجري في ساحة المبشرين يقول (إن الحاجة ماسة للمبشرين في العراق، والعراق اليوم جديد في حالة قابلة للإصلاح ولكن هذه الحالة ستزول، والهيئة الاجتماعية هناك ستتخذ شكلاً ثانياً، العربي اليوم في دور التبدل ولكن هذا الدور لن يدوم طويلاً ولذلك يجب الاستفادة من الموقف الحاضر فوجود عدد من المبشرين يقل عن العشرين في المراكز العراقية لا يمكن أن يعتبر كافياً)[١٤].

يقف النقدي من المبشرين موقفاً يردهم عن غايتهم فيقول: (ماذا فعل المبشرون إزاء آراء الأساقفة والقسوس الذين أعلنوا بالأمس إيمانهم بنظرية التطور وجحدوا سفر التكوين قائلين: إن الكتاب المقدس ليس كتاباً علمياً فيجب أن لا تعتمد عليه في معارفنا العلمية)[١٥].

٣ـ ضخامة إنتاجه الفكري:

تنوعت المجالات التي كتب فيها النقدي وإن كان لأهل البيت عليهم السلام النصيب الأوفر، إلا إن المجال التربوي الاجتماعي كان مجالاً خصباً تناوله بالبحث والدراسة والتعرض للمشاكل الحياتية وسبل معالجتها وتقويم السلوك الشخصي للفرد المسلم باعتباره ينتمي إلى الإسلام.

وفي هذا المجال ألف كتاباً مثل دروس أخلاقية، الحجاب والسفور، الإسلام والمرأة، أما ما كتبه في أهل البيت عليهم السلام، فقد طرق باباً جديداً في وقته حيث كان المؤلفون تقليديين في طرحهم للمواضيع، أما النقدي فقد نحى منحاً آخراً في تناوله المواضيع التاريخية حيث بدأ يحلل النص ويستنطق سطوره وكان كتابه (إسلام أبي طالب) في طليعة ما ألف حيث (أفرغ به كل ما يستطيع جهبذ محايد منصف مفضال من الأدلة والبراهين المنقولة والمعقولة ليدعم بها رأيه ينضاف إلى ذلك تحليل مجتمع مكة آنذاك وتحليل حالة بيئتها)[١٦].

ومن كتبه أباة الضيم في الإسلام، الأنوار العلوية في أحوال أمير المؤمنين، تنزيه الإسلام، منظومة عقد الدرر في علم الحساب، وسيلة النجاة في شرح الباقيات الصالحات، زينب الكبرى بنت الإمام علي، ضبط التاريخ بالأحرف، تاريخ الإمامين الكاظميين، وغيرها من الكتب المطبوعة والمخطوطة، إلى جنب ذلك كان النقدي (شاعراً مجيداً له شعر كثير في مدح ورثاء الأئمة عليهم السلام وفي غيرهم وأرخ بشعره لحوادث جليلة)[١٧].

ومن شعره الاجتماعي:

وإني لأختار الحياة التي بها
فوائد منها يستفيد بنو جنسي
فإن لم تبلغني الحياة مآربي
تخيرت موتاً فيه يسترني رمسي
ولي همة شماء لم ترض منزلاً
لها في العلى الأعلى هالة الشمس
يقلب بالآمال قلبي وتنتشي
تنافسني في كل مكرمته نفسي

وفي الإمام علي عليه السلام يقول:

ما للعقول إلى ثناك بلوغ
ياليت شعري ما يقول البليغ
في كل يوم من علاك سبيكة
تبدو فيأخذها الحجى أو يصوغ
ويقلد الدنيا بخير قلادة
زهراء ما لسوى المحب تسوغ
إني وخير المرسلين تقرباً
من ربه بك زاده التبليغ
تعس المداجي كيف يخفى مدحه
أضحى لها طول الزمان نبوغ
يرجو ليخيفها فإن هي أشرقت
شبه الثعالب ينثني ويروغ

وفي صبيحة يوم السابع من المحرم سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م[١٨]، بينما كان يستمع لمجلس العزاء الحسيني في حسينية آل ياسين بالكاظمية، إذ ظهرت ملامح الجزع والتأثر الشديد على وجهه حزناً على مصاب الحسين عليه السلام وماهي إلاّ لحظات حتى إلتحقت روحه الطاهرة برضوان الله ورحمته، التحقت وهي مكللة بتاج العطاء الذي دام نصف قرن أو أكثر وقد نقل إلى النجف ودفن في الصحن العلوي الشريف، ووقف السيد محمد صادق آل بحر العلوم مؤرخاً عام وفاته التي تزامنت مع وفاة عديله في الفضل الشيخ محمد طاهر السماوي فقال:

قد دهى الكون رنة وعويل
ورزايا مثلها ليس يوجد
الآن الأنام تندب شجوا
شهر عاشور سبط طه أحمد
الآن الأيام جاءت بخطب
إثر خطب فالعيش أضحى منكد
أبها قد قضى الحسين فأرخ
(أقضى جعفر بها ومحمد) ■

---

(١) الفتلاوي، مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف، ص٨٠، الخاقاني، معجم شعراء الغري،٧٢/٢.
(٢) معجم شعراء الغري،٧٢/٢.
(٣) مجلة البلاغ، العدد٢، السنة الرابعة، شوال١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، مقالة بعنوان الشيخ جعفر النقدي، الفقيه والأديب والشاعر، ص١٩.
(٤) www.ar.wikipedia.org
(٥) آغا بزرك، نقباء البشر، ص٢٩٦.
(٦) الأميني، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، ١٢٩٦/٣.
(٧) مجلة البلاغ، الشيخ جعفر النقدي، الفقيه والأديب والشاعر.
(٨) الخاقاني، معجم شعراء الغري،٧٣/٢.
(٩) مجلة البلاغ، الشيخ جعفر النقدي، الفقيه والأديب والشاعر.
(١٠) الخاقاني، معجم شعراء الغري،٧٣/٢.
(١١) مجلة البلاغ، الشيخ جعفر النقدي، الفقيه والأديب والشاعر.
(١٢) ميرفان، حركة الأصلاح الشيعي في جبل عامل، ص٥٠٩.
(١٣) مجلة المرشد،ج٣،م٣،ذو القعدة، ١٣٤٦، ص٩٣ مقالة منشورة للشيخ النقدي.
(١٤) ، (١٥) المصدر السابق.
(١٦) مجلة البلاغ، الشيخ جعفر النقدي، الفقيه والأديب والشاعر.
(١٧) الفتلاوي، مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف، ص٨٠.
(١٨) المصدر السابق، ومن المؤرخين من أرّخ عام الوفاة في ٩محرم/١٣٦٩.

من علماء جبل عامل..
ومؤسس النهضة العلمية الحديثة فيه

السيد حسن يوسف مكي

(١٨٤٤-١٩٠٦م)

م. م. مجيد حميد الحدراوي •
الكلية الإسلامية الجامعة

ينابيع

يرى بعض الباحثين أن العوامل التي تصنع الرجال: وراثة، وبيئة، وأكبر منهما المجتمع أما فيما يتعلق بنسب السيد فيرقى بين الأصلاب الطاهرة والأرحام المطهرة، حتى يتصل بصاحب الرسالة العظيم عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم وهو منتهى الفخر.

أما بيئته جبل عامل فلها تاريخ مجيد في العلم وقدح معلى في حلبات الفضل وشأن في سماء العرفان وسلف صالح في عالم التصنيف والتأليف ومنبتاً للعلماء فقد نشأ فيها كبار علماء التشيع الإمامي.

وفيما يتعلق بمجتمع المترجم له ففيه من نماذج الحضارات وتلاقي الثقافات واشتباك تناقضات ما لا يتسع المجال لذكره في هذه المقدمة المختصرة.

ولادته ونشأته

ولد في قرية (حبوش) التابعة لمدينة النبطية في عام (١٢٦٠هـ/١٨٤٤م) العصامي الجليل السيد حسن بن السيد يوسف بن السيد إبراهيم المشتهر بالمكي الحسيني العاملي ينتهي نسبه الشريف إلى الإمام الشهيد الحسين عليه السلام.

نشأ في بلدته ولما بلغ سن التمييز انتقل إلى (جبع) حيث ازدهرت فيها الحركة العلمية في عهد العلامة الشهير المرحوم الشيخ عبد الله نعمة (وهو من كبار علماء جبل عامل في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي المتوفي سنة ١٨٨٥م)، وكان السيد حسن يوسف مكي يقيم في بيت العالم الشيخ محمد سلمان الزين (ت١٩٠٣) وقد تلقى هناك علومه من نحو وصرف ومنطق ومعاني وبيان

على يد العالم الشيخ مهدي شمس الدين (ت١٩١٥م)، وقد تفوق السيد المترجم له وبرع في النحو والصرف براعة فائقة.

سفره إلى العراق

تذكر المصادر التاريخية أن إسماعيل بن الحسن العودي الجزيني العاملي (ت١١٩٠م) يعد رائد الرحلة العلمية العاملة إلى العراق وقد اقتفى أثره في ذلك العلماء العامليين للهجرة العلمية إلى الحواضر العلمية المقصودة في العراق التي تعتمد فقه الإمامية وأصوله كلما سنحت لهم الفرص ليتخرجوا على أيدي أساطين الفقه الجعفري وأصوله ومازالت الهجرة حتى اليوم تتجدد في سبيل طلب العلم، وكان ممن وفق لذلك السيد حسن يوسف مكي في سنة (١٢٨٧هـ/١٨٧٠م) حيث شخص للعراق وأقام في النجف الأشرف موطن علماء الشيعة ومجمع طلبة العلم من جميع الأقطار فأخذ يدرس علم الأصول والفقه على فئة من أفاضل علماء الشيعة المجتهدين كالشيخ محمد حسين الكاظمي، والشيخ محمد طه نجف، والشيخ كاظم الخراساني، والفاضل الشربياني، وغيرهم، وقد أقام في النجف (٢٣) عاماً نال في غضونها شهرة فائقة بين العراقيين والعامليين لما أوتي من كرم الأخلاق ورائع الصفات وعلو الهمة فكان بيته في النجف الأشرف مقصد العامليين فلم يذهب عاملي إلى العراق إلا لازمه وتولى خدمته بذاته حتى اجتذب قلوبهم إليه وجعل أفئدتهم وقفاً على حبه وولائه.

عودته إلى النبطية وتأسيسه المدرسة الحميدية

أحرز السيد من خلال دراسته في النجف الأشرف درجتاً عليا في الاجتهاد ولما كانت سنة (١٨٩١م) استدعاه أهل النبطية للإقامة عندهم كي يستفيدوا من علمه وإرشاده فلبى الطلب وعمل في بيت الوعظ والإرشاد في نفوس أبناء قومه وقد أدرك عظم المهمة الملقاة على عاتقه في إنقاذ أبناء مجتمعه من الجهل الذي كان يضرب أطنابه بين ظهرانيهم في وقت كانت تشهد بعض مناطق لبنان نهضة علمية حديثة خصوصاً في منطقة جبل لبنان لذلك كان لابد للشيعة من نهضة علمية

تعاون على إيقاد جذوتها مع السيد حسن يوسف مكي نفر من أبناء النبطية فتأسست في العام (١٨٩٢م) المدرسة الحميدية وينسب اسمها للسلطان عبد الحميد جرياً مع العادة المتبعة في ذلك العهد، وقد لمع اسمها وذاعت شهرتها فقصدها طالبوا العلم والثقافة من سائر البلدان وضمت ما يزيد على ثلاثمائة طالب كانوا يقيمون بها ليلهم ونهارهم منعكفين على الدرس والتدريس وكان المترجم له يدرس الفقه والأصول لكبار التلامذة وكان يعتني بالطلاب كثيراً ويسهر على دراستهم وتوجيههم ويعتني بملبسهم ومأكلهم ومنامهم ويقدم مساعدة مالية للفقراء منهم.

أثر المدرسة الحميدية في جبل عامل

إن الفوائد العلمية والثقافية، والمنزلة الأدبية المعنوية التي أحرزها أبناء الشيعة في جبل عامل وغيره من المدرسة الحميدية جزيلة وفيرة، فقد نبغ فيها الشاعر الأديب والمؤلف والخطيب وارتفع مستوى البلاد الأدبي وارتفعت منزلتها الاجتماعية، وأخرجت عدداً ليس بقليل من العلماء الأفاضل والشعراء الأفذاذ والأدباء والكتبة الكبار فمنهم من انتخب في المجمع العلمي العربي في دمشق فكان من أعضائه اللامعين ومنهم المؤلفون والمؤرخون ومحررو الصحف والمجلات ومنهم من تولى القضاء ومناصب الإفتاء.

وقد كان الأسى عاماً لانفراط عقد المدرسة بعد وفاة مؤسسها فأسرع إليها الخراب بعد أن كانت دار علم وفضل وروضة أدب وثقافة ست عشرة سنة.

وفاته

أصيب السيد حسن يوسف مكي بالسكتة الدماغية عقيب حادث مؤلم أثر عليه فلم يمهله سوى بضعة أيام حتى قضى على حياته الشريفة وكان ذلك عصر يوم الأحد الثالث من رمضان المبارك سنة (١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م) عن عمر لم يتجاوز (٦٤) عاماً ودفن في ساحة المدرسة، وقد حضر دفنه الجم الغفير من علماء البلاد وأعيانها وتلت المراثي التي رثي بها واعتنى بعض أفاضل تلامذته بجمعها وطبعها في كتاب اسمه (رنة الشجن لفقد الحسن).

يتميز المترجم له ببعض الخاصيات والمميزات فكان من أولئك النوابغ الذين امتازوا ليس بالعلم فحسب بل بسجاحة الأخلاق وكرم اليد والنفس وعلو الهمة والشيم، ومن الذين امتازوا بالنبوغ العصامي ونعني بكونه عصامياً أنه نشأ بين أسرة كانت تتعاطى الفلاحة والزراعة وغير ذلك من أسباب المعيشة ونبغ نبوغاً عظيماً وسار ذكره في طول البلاد وعرضها وعندما نقول إنه نال كل تلك الشهرة وهو ابن أسرة كانت تتعاطى الفلاحة والزراعة يعني الكثير في مقايس الزمان والمكان وقتذاك.

إنما المرء حديث بعده
فكن حديثاً حسناً لمن بقي

لا أدعي الإحاطة الكاملة بكل ما في الموضوع وحسب ما ذكرت والله تعالى الموفق لما فيه الخير والصلاح ■

مفاهيم في فكر أهل البيت عليهم السلام

الزهد

الحاج فلاح العلي •

ينابيع

هناك مفاهيم وأفكار لمفردات وردت على ألسن كثير من المتكلمين قديماً وحديثاً، وأخذت شكلها ومضمونها الذي صيغت به وضمن قواميس اللغة والمعاجم، وقد عرفها القدماء والمحدثين تعاريف تتسم ـ غالباً ـ بالدقة والشمولية، ثم تعارف الناس عليها وعلى استخداماتها. إلا أن هذه المفاهيم لها معان أعمق وأعم وأشمل في فكر أهل البيت عليهم السلام، وهذا العمق والشمولية نابع من رؤيا أهل البيت عليهم السلام لتلك المفاهيم على أن لها درجات ومراتب، فهناك حد أدنى لذلك المفهوم وهناك حد أعلى له، وله مراتب بين هذين الحدين.

قد نقرأ أحياناً تعريفاً لمفهوم معين، ثم نقرأ تعريفاً آخر قد يختلف بعض الشيء عن نفس المفهوم لإمام آخر أو لنفس الإمام، فلا غرابة في ذلك إذا علمنا أن كل تعريف قيل في ظرف معين قد يختلف عن ظرف تعريف الآخر، إلا أن جميع تلك التعاريف لا تخرج عن إطار

الحد الأدنى والحد الأعلى لذلك المفهوم.

ومن الجدير بالذكر، أننا حينما نقول فكر أهل البيت عليهم السلام، إنما نقصد به الفكر الإسلامي الأصيل النقي الخالي من الشوائب، المجرد من الاجتهادات والأهواء، الفكر الذي أنزله الله على رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وآله، ليكون الأطروحة الإلهية المنزلة إلى البشر. وهذه محاولة منا للتعرف على بعض هذه المفاهيم وما شاع من مداليلها، وكذلك رؤيا أهل البيت عليهم السلام أو الإسلام الحقيقي حيال هذه المفاهيم والأفكار.. وفي كل حلقة نستعرض أحد هذه المفاهيم وما شاع من فهمها، ثم نرى رأي أهل البيت عليهم السلام بها.

سنتحدث اليوم عن مفهوم (الزهد).

لقد وردت روايات كثيرة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، تبين أهمية الزهد والزاهد وتبين منزلته ومكانته في الإسلام، وهذه بعض هذه الروايات:

١ ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (ما اتخذ الله نبياً إلا زاهداً)[١].

٢ ـ وعنه صلى الله عليه وآله: (ما عبد الله بشيء أفضل من الزهد في الدنيا)[٢].

٣ ـ عن الإمام علي عليه السلام: (الزهد شيمة المتقين وسجية الأوابين)[٣].

٤ ـ وعنه عليه السلام: (إن علامة الراغب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الدنيا)[٤].

٥ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (جعل

الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا)[٥].

وهناك العشرات من الروايات الواردة التي تمتدح الزهد والزهاد وتعتبره أصل الدين وثمرته وعونه وأساس اليقين وإن من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا.

ولكن ما هو الزهد؟ ومن هو الزاهد؟!

لقد وردت تعاريف كثيرة للزهد وللزهاد فقال بعضهم: (الزهد هو: الرخيص والقليل والحقير وما إلى ذلك) أو: (هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال، وهو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف) أو: (حب الفقر) أو: (ترك ما يشغل عن الله) أو: (استصغار الدنيا، ومحو آثارها من القلب) وكل ذلك لا يخلو من الصحة.

فحينما يذكر الزهد يتبادر إلى الذهن حالة البساطة التي يعيشها الزاهد، والتواضع في العيش من مأكل وملبس وتنقل، وقد دأب الزهاد على العيش بأكل القليل البسيط ولبس اللباس المتواضع بعيداً عن الأناقة والفخامة. أي بتعبير آخر: إن الزاهد هو ذلك الشخص الذي يلبس الخشن من اللباس ويأكل الفتات من الطعام ولا يملك شيئاً من حطام الدنيا، كالمال والعقار وغيرها، ليعفى من المسؤوليات والحقوق المالية المترتبة عليه. والزاهد هو المبتعد عن الناس ومشاكلهم فلا يتدخل في حل مشكلة كما لم يُحدِث مع أحد مشكلة، والزاهد هو المتخلي عن أهله وعياله، لألا يشغله ذلك عن العبادة والانقطاع إلى الله سبحانه.

هذا ما شاع وما عرف عن الزهد والزاهد، ولكن هل هذا هو الزهد، وهل هذا هو الزاهد في فكر أهل البيت عليهم السلام؟

مما لا شك فيه أن هذا الفهم للزهد فهم ناقص ومتطرف إذا عرضناه على تراث وفكر أهل البيت عليهم السلام، وأول تعريف للزهد عند أهل البيت عليهم السلام، أو الحد الأدنى للزهد، هو قول الإمام زين العابدين عليه السلام: (يقول الله: يا ابن آدم ارض بما آتيتك تكن من أزهد الناس)[٦]، فالزهد هو الرضى بما قسم الله، وعليه فإن امتلاك الأموال لا يتعارض مع الزهد مطلقاً إذا رضي الإنسان بما رزقه الله. وهذا أول الزهد أو الحد الأدنى للزهد في فكر أهل البيت عليهم السلام. ثم تأتي مراتب أعلى للزهد، يقول الإمام الصادق عليه السلام: (ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال، ولا بتحريم الحلال، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عز وجل)[٧]، بمعنى أن يكون في يدك شيء، كل شيء، ولكن لا تكن ثقتك به وإيمانك ببقائه أكثر مما في يدي الله سبحانه. فهذا أحد أصحاب الإمام علي عليه السلام جاء يشكو أخاه إلى أمير المؤمنين قائلاً: (يا أمير المؤمنين

أشكو إليك أخي عاصم بن زياد، قال وما له؟ قال لبس العباءة وتخلى عن الدنيا. قال: عليَّ به. فلما جاء قال: يا عَدِيَّ نفسه لقد إستهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك. أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك)[٨]. ومرتبة أخرى من مراتب الزهد على لسان أمير المؤمنين عليه السلام. فيقول: (الزهد كله في كلمتين من القرآن، قال الله تعالى: لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ)[٩]. (فمن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فهو الزاهد). ثم مرتبة أخرى للزهد يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: (أزهد الناس من اجتنب الحرام)[١٠]، وعن الإمام علي عليه السلام: (لا زهد كالزهد في الحرام)[١١]. وهكذا نرى درجات ومراتب الزهد في كل تعريف للزهد إلى أن يصف لنا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الزهد بأعلى مراتبه فيقول: (ليس الزهد أن لا تملك شيئاً، ولكن الزهد أن لا يملكك شيء)[١٢].

فأعلى مراتب الزهد هو التحرر من ربقة العبودية لكل شيء، سواء كان هذا الشيء مال أو جمال أو قوة أو جاه أو سلطة أو أي شيء يتحول إلى إله يعبد من دون الله، وإلى سيد يطاع، فيملك رقبة صاحبه ليحركه بأي اتجاه شاء. فإذن نخلص من كل ما تقدم أن الزهد يبدأ من الرضى بما قسم الله، مروراً بالثقة بما عند الله واجتناب ما حرم الله وينتهي بالتحرر من عبودية كل شيء.

وأما (أفضل الزهد فهو إخفاء الزهد)[١٣]، كما ورد ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام ■

---

(١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ ص٨٥٧. عن مستدرك الوسائل ١٣٤٨٨/٥١/١٢.
(٢) كنز العمال ج ٣ ص ٢٠٣.
(٣) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ ص٨٥٧.عن غرر الحكم ١٧١٣- ٥٥٠.
(٤) الكافي للكليني ج٢ ص ١٢٨.
(٥) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ ص٨٥٧.عن البحار ٢٠/٤٩/٧٣ .
(٦) بعض ماورد من سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام (مركز المصطفى).
(٧) البحار ٨/١٧٢/٧٧ و٤/٣١٠/٧٠.
(٨) نهج البلاغة ج٢ ص ١٨٧ ت٢٠٩.
(٩) البحار ٢٧/٧٠/٧٨ و٣٥/٣٢٠/٧٠.
(١٠) أمالي الصدوق ٤/٢٧.
(١١) نهج البلاغة - الحكمة ١١٣.
(١٢) ميزان الحكمة - محمد الريشهري ج٤ ص ٢٩٩٠.عن الدرة الباهرة٢٩.
(١٣) نهج البلاغة - الحكمة ٢٨.

من فكر شهيد المحراب

قبسات من الملحمة الحسنية

الحلقة الثانية

مؤسسة تراث الشهيد الحكيم
قسم الثقافة والإعلام

أهداف صلح الإمام الحسن[٤]

لقد تمكن الإمام الحسن عليه السلام من تحويل هذا الصلح الذليل الذي أرادته الأمة على كل حال إلى صلح هادف والى عملية سياسية قوية تمثل أفضل سياسة يمكن أن يقوم بها قائد حكيم .

إن الإمام الحسن عليه السلام لم يكن يؤمن بهذا الصلح، وقد كان مجبورا عندما هادن، ولكنه لم يترك الأمور تجري كما هي، فيمارس العزلة عن الساحة ويترك الأمة لمصيرها المجهول، بل واصل عليه السلام المسيرة وقيادة الأمة، وحقق انجازات معينة، وسوف اذكر بعض النقاط من اجل أن أعطي صورة واضحة لهذه الحقيقة:

أولا: حفظ الجماعة الصالحة

إن أئمة أهل البيت (سلام الله عليهم) كانوا يخططون من اجل وجود الجماعة الصالحة في جسم الأمة الإسلامية من ناحية، ويخططون من اجل بقائها واستمرارها كقوة وطاقة تحرك الأمة الإسلامية في كل تاريخها وفي كل مقاطع حركتها من ناحية أخرى، وعندما أقول الجماعة الصالحة لا اقصد بذلك الجانب المذهبي

في هذه الجماعة، فلأهل البيت (سلام الله عليهم) حركتين رئيسيتين في الأمة:

الأولى: الحركة الفقهية العقائدية المتمثلة بمذهب أهل البيت، وتتمثل برجوع أتباعهم إليهم كمراجع فكريين لهم في مختلف الشؤون، ويمكن أن نعبر عن هذا الجانب بالجانب المذهبي لأهل البيت.

الثانية: الحركة السياسية التي تنطلق من مفاهيم العزة والكرامة الإنسانية، وأن الحكم لله لا للطاغوت، وأن الحكم الشرعي هو الحاكم في حياة المسلمين لا حكم كسرى وقيصر، وهذه الحركة كانت لها تأثيرات واسعة كبيرة حتى على مستوى المسلمين الذين لا يتمذهبون بمذهب أهل البيت عليهم السلام، واحد الأمثلة الواضحة الرائعة على ذلك في تاريخ المسلمين، موقف أبي حنيفة الذي يمثل احد أئمة المذاهب الأربعة الرئيسية في مجمل الحالة الإسلامية القائمة، فالإمام أبو حنيفة كان في فكره المذهبي والعقائدي يختلف إلى حد كبير عن فكر أهل البيت (سلام الله عليهم)، ولكنه على المستوى السياسي كان محسوبا على خطهم (سلام الله عليهم)، ولذلك نجد أن أبا حنيفة اعتقل من قبل المنصور وعذب في سجونه، وطورد في الكثير من المواقف لأنه كان يتبنى في مواقفه السياسية مواقف أهل البيت بشكل عام، وقد كان معروفا عنه أنه من الموالين لحركة زيد بن علي السجاد (سلام الله عليه).

ولذا نجد أن العباسيين عندما أرادوا أن يقضوا على الأمويين، رفعوا نفس الشعارات التي كان يرفعها أهل البيت (سلام الله عليهم) في الدعوة للرضا من آل محمد.

إن الإمام الحسن (سلام الله عليه) قام بعمل عظيم في حفظ الجماعة السياسية التي كانت تتبنى هذا المنهج، سواء ممن والوا عليا عليه السلام والتزموا بخطه أم من غيرهم، وهذه الجماعات لم تكن متميزة في أيام الخلفاء الثلاثة من الناحية السياسية، باعتبار أن الإمام علي عليه السلام لم يكن له دور سياسي واضح يتحرك على الأمة بشكل عام، وإنما كان يعيش في وسط المدينة، ولكنه عندما تولى الخلافة أصبحت هذه الجماعة متميزة في أفرادها وفي شعاراتها وفي حركتها وفي التزاماتها من خلال حركة الإمام علي عليه السلام والمعارك التي خاضها.

ومعاوية كان يعد العدة من اجل القضاء على هذه الجماعة واستئصالها وإبادتها من اجل أن يحول الحكم الإسلامي إلى حكم قيصري متأثر بدور القياصرة الذين كانوا يحكمون في الشام، ومتأثر أيضا بالمخلفات التي ورثها من العهود الجاهلية لأسباب عديدة، فقد كان معاوية يرى بأن هذا الخط السياسي الذي أوجده الإمام علي عليه السلام ورباه تربية كاملة يمثل الخطر والتهديد الحقيقي لأهدافه؛ لأنه كان بمثابة صمام الأمان للحركة السياسية للأمة الإسلامية، والضمانة التي تضمن استمرار الإسلام والأمة الإسلامية في طريق الهدى والصلاح، ومن هنا وجدنا بأن مجمل الشروط التي وضعها الإمام الحسن عليه السلام في الصلح تستهدف المحافظة على هذا الخط.

ولذلك - ومن خلال بعض النصوص التاريخية - نجد أن معاوية لم يجرؤ على القيام بعملية قمع وأباده واسعة لهذا الخط ما دام الإمام الحسن عليه السلام موجودا، ولكنه بدأ بهذه العمليات بعد استشهاده[1].

ثانياً: كشف الحقائق

لقد تمكن الإمام الحسن عليه السلام من خلال هذا الصلح أن يحقق جانبا مهما جدا، وهو كشف حقيقة معاوية، وقد قام الإمام الحسن عليه السلام بذلك بشكل رائع، فهو:

أولاً: لم يوافق على أن يبايع معاوية على انه أمير المؤمنين، وبالتالي لم يعترف بشرعية هذه الإمارة مطلقا.

ثانياً: قام بوضع شروط على معاوية، وكان الإمام عليه السلام يعرف أن معاوية سوف يخرق هذه الشروط، وبذلك تتكشف حقيقته للمسلمين، ومن هذه الشروط -مثلا- الامتناع عن سب علي عليه السلام، وإعطاء الحقوق والأموال إلى جميع عوائل الذين استشهدوا مع علي عليه السلام في الحروب الثلاثة: (الجمل، وصفين، والنهروان)[2] إلى غير ذلك، مضافا إلى دور الإمام الحسن عليه السلام شخصيا في المناقشات والمحاججات التي كان يخوضها، وفي التاريخ يوجد تراث واسع وكبير جدا يركز على

جانب الاحتجاجات التي كان يقوم بها الإمام الحسن عليه السلام في الأوساط الأموية بشكل عام، ومع قطع النظر عن مقدار صحة هذه الاحتجاجات ودقتها، فان الشيء الذي يمكن أن نستفيده من خلال فحص هذه الروايات التاريخية، هو أن الإمام عليه السلام قام بقيادة حملة إعلامية واسعة في هذا المجال، وكان لهذه الحملة تأثير كبير جدا في أوساط المسلمين[٣]، فالإمام الحسن قام بعملية تطويق لمجمل حركة الأمويين واوجد القوة المضادة لوجودهم في جسم الأمة.

وقد انكشفت الحقيقة بصورة عامة في الظروف التي كان يعيشها المسلمون في زمن معاوية، وانكشفت بصورة كاملة عندما جاء يزيد إلى الحكم كخليفة له، وكل المسلمين عرفوا أن القضية الإسلامية تحولت إلى قضية كسروية قيصرية ترتبط بالحاكم الظالم المطلق الذي يحكم الناس بـ(ما أريكم إلا ما أرى) كما عبّر القرآن الكريم عن حالة فرعون، فالحق هو ما يراه، أما حق الله وحق الناس والعدل والقسط فهي قضايا لا يؤمن بها الحاكم.

إن من أهداف السياسة الإسلامية المهمة توضيح الحقيقة للناس وبيان المعرفة لهم، وبعد ذلك يمكن أن ينفتح الطريق أمام المسائل والأعمال الأخرى.

ثالثاً: حفظ الأمة الإسلامية

لقد كان الإمام الحسن عليه السلام احد العناصر المهمة في المحافظة على وحدة الأمة الإسلامية وعزتها، وجعلها قادرة على مواجهة التهديدات الخارجية من قبل الدولة الرومانية في ذلك الوقت، بسبب الظروف التي وقعت بينها وبين المسلمين في أيام عثمان بن عفان.

مظلومية الإمام الحسن[٤]

لقد كتب على هذا الولي الزكي منذ ولادته أن يكون مظلوماً في حياته وبعد وفاته، مظلوماً في العواطف والأحاسيس ومظلوماً في التقييم والتحليل لحياته، وهذه المظلومية يلاحظها الإنسان بشكل واضح عندما يقرأ في التاريخ ما جرى عليه حتى في زمن أبيه (صلوات الله وسلامه عليه)، حيث يبدو أن هناك مؤامرة وتخطيط من جهات كانت تستهدف الإمام بشائعات وبأحاديث مؤذية له ولأمير المؤمنين عليهما السلام[٤].

ثم إن الإمام الحسن عليه السلام كان مظلوما من قبل أصدقائه وأتباعه فضلا عن الأعداء، فقد ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام انه قال: (جاء رجل من أصحاب الحسن عليه السلام يقال له سفيان بن ليلى وهو على راحلة له فدخل على الحسن وهو محتب[٥] في فناء داره، فقال له: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال له الحسن: انزل ولا تعجل، فنزل فعقل راحلته في الدار ثم أقبل يمشي حتى انتهى إليه، قال: فقال له الحسن عليه السلام: ما قلت؟ قال: قلت السلام عليك يا مذل المؤمنين، قال: وما علْمُك بذلك؟ قال: عمدت إلى أمر الأمة فحللته من عنقك وقلدته هذا الطاغية يحكم بغير ما انزل الله، قال: فقال الحسن عليه السلام: سأخبرك لمَ فعلت ذلك، سمعت أبي يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لن تذهب الأيام والليالي حتى يلي على أمتي رجل واسع البلعوم رحب الصدر يأكل ولا يشبع وهو معاوية فلذلك فعلت[٦]، ما جاء بك؟ قال:حبك، قال: الله[٧]، قال:الله، قال: فقال الحسن عليه السلام: والله لا يحبنا عبد أبدا ولو كان أسيراً في الديلم إلا نفعه الله

بحبنا، وان حبنا ليساقط الذنوب من ابن ادم كما يساقط الريح الورق من الشجر)[٨].

ان هذا الامر كان ثقيلا جدا على نفس الامام الحسن عليه السلام، وكان من الاسهل له ان يقتل كما قتل اخوه الحسين عليه السلام من ان يركب مثل هذه المصاعب التي أدت الى ان يُقال له: (السلام عليك يا مذل المؤمنين) من قبل خالص اصحابه الذين اتخَذَ من اجلهم هذا القرار، فقد يتوقع الإنسان الأذى من أعدائه، أما أن يأتيه الأذى من محبيه المؤمنين به والقريبين إليه؛ فهذا مما لا يتوقعه الإنسان عادة.

لذلك كان الشيء الظاهر من شخصية الإمام الحسن عليه السلام الحلم والصبر اللذان تعامل بهما مع مثل هذه الظواهر الاجتماعية، فهو حليم آل محمد صلى الله عليه وآله.

ومن الأمور التي تعرض لها الإمام الحسن عليه السلام ولم يتعرض لها أئمة أهل البيت، انه كان يسمع شتم أبيه عليه السلام في مجلس معاوية من قبل الحاقدين والمبغضين الذين كانوا ينصبون العداء لرسول الله صلى الله عليه وآله منذ الصدر الأول للإسلام، وكان عليه أن يدخل هذا المجلس ويتعامل مع هؤلاء من خلال ذلك الحلم.

وفي بعض الروايات أن مروان بن الحكم كان يصعد المنبر في المدينة ويشتم علياً عليه السلام والإمام الحسن جالس تحت المنبر لا يقول شيئا، ولا شك بان هذا كان أثقل وأصعب واعز على الإمام الحسن (صلوات الله وسلامه عليه) من أن يستشهد في معركة ضد معاوية.

وظلامته عليه السلام لم تقتصر فقط على أيام حياته، وإنما امتدت بعد استشهاده، فان الشعائر التي تقام في ذكرى وفاته محدودة جدا، وعندما يقف الزائر في أيام الحج على قبر الإمام الحسن عليه السلام يتقطع قلبه وتأخذه العبرة لمجرد مشاهدة منظر هذا القبر الشريف المهدوم.

في الواقع لا يوجد أي تفسير لظلامة الإمام الحسن إلا قضية الإسلام، فالإمام الحسن عليه السلام عاش من اجل قضية الإسلام والدفاع عنه وعن الجماعة الصالحة المتمثلة بشيعة أهل البيت عليهم السلام.

هدنة الحسن وثورة الحسين

لو كان الإمام الحسين عليه السلام في موقع الإمام الحسن عليه السلام لهادن معاوية كما فعل الإمام الحسن، ولا أقول ذلك من منطلق عقائدي[٩]، وإنما أقوله من تحليل للدور التاريخي، فدور الإمام الحسن عليه السلام هو دور التمهيد وتحقيق الأهداف التي ذكرناها وامتصاص حالة الإحباط التي كانت يعيشها المسلمون حتى تتهيأ الظروف لثورة الإمام الحسين، وكان على الإمام الحسين أن لا يستمر بنفس الطريقة التي سار بها الإمام الحسن عليه السلام، حتى يرفع من ذهن المسلمين ما قد يُتَصوّر من أن المنهج الثابت لأهل البيت هو منهج الإمام الحسن- دور السكوت والهدنة مع الظالم- فلابد لكل واحد منهما أن يقوم بدور يكمل فيه دور الآخر.

فالامام الحسن عليه السلام ابقى جماعة بوجودها المادي كعناصر وبشر، والامام الحسين تمكن من ان يجعلها جماعة باقية بوجودها المعنوي الواعي المدرك للحقائق القادر على تحمل المسؤوليات الكبيرة في مواجهة الصعاب، فحملت هذه البقية الباقية راية الاسلام الاصيل المتمثل بمذهب اهل البيت عليهم السلام وناضلت وجاهدت وكافحت عبر القرون وامام كل المصاعب دون هوادة، لان الجماعة حُفظت في نفسها وفي وجودها وفي وعيها واستمرت حتى يومنا الحاضر، وتمكنت من ان تبقى-ليس كجماعة محاصرة فقط، وانما كجماعة قادرة على ان تتوسع وتنتشر في الارض باستمرار ويعلو صوتها يوماً بعد يوم-.

عندما استشهد الإمام الحسن عليه السلام وطلب أهل الكوفة من الإمام الحسين عليه السلام أن يخرج على معاوية، امتنع باعتبار أن الإمام الحسن التزم مع هذا الإنسان بمعاهدة، وبقى الإمام الحسين عليه السلام عشرة سنوات وتزيد ساندا لهذه الهدنة حتى وفاة معاوية.

فالحسين التزم بما التزم به الحسن في هذا الموضوع، لان الواجب الشرعي يفرض على كلا الإمامين ذلك.

وعندما تغير التكليف الشرعي بعد وفاة معاوية، نجد أن الإمام الحسين عليه السلام قام بنفسه بتلك الثورة العظيمة التي بقيت في التاريخ الإسلامي والإنساني إلى هذا اليوم-وستبقى إلى يوم القيامة- وهذه حقيقة يجب أن نفهمها[10].

كما ان احد مقومات نجاح نهضة الإمام الحسين عليه السلام وتأثيرها المهم، الرأي العام الذي كان موجودا ومطالبا بالنهوض والثورة، وقد كان لموقف الإمام الحسن عليه السلام فضل في تكوين هذا الرأي العام، فأولئك الذين قالوا للإمام الحسن باجمعهم: (البقية والحياة) هم بأنفسهم الذين اخذوا يكاتبون الإمام الحسين ويدعونه للثورة، ليس فقط عندما هلك معاوية، وإنما بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام بلا فاصل كما يؤكد التاريخ على ذلك، مما يعني أن الأوضاع أصبحت مهيأة في الوسط الإسلامي للتحرك والنهضة، فالكوفة ومكة والمدينة ثارت، والبصرة واليمن كانتا مهيأتين إلى حد كبير لذلك، الأمر الذي يعني أن الإمام الحسن عليه السلام تمكن من خلال منهج متكامل أن يحقق هدفا عظيماً، هو تهيئة الأمة الإسلامية لمواصلة مسيرتها في المواجهة ■

---

(١) كقتل حجر بن عدي وأصحابه في دمشق.

(٢) والاستمرار في إعطاء هذه الحقوق يعطي شرعية لهذه الحروب.

(٣) لقد كان الإمام الحسن عليه السلام يتابع أخطاء معاوية بشكل دقيق ويسجلها خطأً خطأً، حتى انه كان يكتب رسائل يعدد فيها ذنوب وأخطاء معاوية ويرسلها إليه، وهذه الرسائل تمثل في الواقع بيانات للأمة توضح حقيقة هذا الإنسان.

(٤) كما في قضية زواج الإمام الحسن عليه السلام وطلاقه.

(٥) احتبى بالثوب: جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوه.

(٦) أي إن هذه القضية مصممة منذ البداية وموجودة في إطار كل المسيرة، وليست قضية أنشأها الإمام الحسن عليه السلام.

(٧) يعني بالله أنت تحبني؟.

(٨) الاختصاص للشيخ المفيد.

(٩) نحن نؤمن بهذا المنطلق العقائدي طبعاً، لان الحسن والحسين إمامان، بل إن الإمام الحسن هو إمام للحسين، والحسين عليه السلام تابع له في الإمامة في عصره.

(١٠) أن نفهم مسألة التكليف الشرعي والالتزام بالمبادئ التي نعرفها من خلال هذا التكليف.

أعلام من كربلاء..

السيد إبراهيم المجاب

سلمان هادي آل طعمة •

ينابيع للمنبر الحسيني مكانة متميزة في نفوس أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فهو المدرسة السيارة التي يحظى الجميع بتعاليمها التي تشمل كل أفراد المجتمع.

وكان على الخطيب الذي يرتقي المنبر أن يكون بقدر المسؤولية التي يحملها إياه المنبر لكي يطرح مواضيعاً متميزة بوثوقها وصحة مصادرها فلا يعتمد على ما يسمعه فقط فيطرحه دون التحقيق والملاحظة.

وهو ما يحصل للبعض من خطبائنا، ومن هذا الطرح ما يتعلق بقضية السيد إبراهيم المجاب دفين حائر الإمام الحسين عليه السلام فقد اختلق البعض قصصاً حول شخصيته الطاهرة وكيف تم قتله في داخل الحضرة الحسينية؟ وهي قصص ليس له من الواقع شيء ودفعاً لما يقال حاولنا في البحث جاهدين تسليط الضوء على حياته.

لا يعرف على وجه الدقة متى هاجر السيد إبراهيم المجاب ابن محمد العابد ابن الإمام الكاظم عليه السلام من المدينة المنورة إلى الكوفة التي اتخذها

مقراً لإقامته، ولم تحدد المصادر التاريخية المدة التي قضاها في هذه المدينة المقدسة موطن العباقرة ومهبط الأولياء والقديسين، ولكن بدء ظهور هذا الاسم كان في مطلع القرن الثالث الهجري، فأقام فيها ردحاً من الزمن حتى صار ينسب إليها، حيث عرف بالكوفي، وكان كفيف البصر، ثم ما لبث أن انتقل إلى كربلاء وألقى فيها عصى الترحال، وهي إذ ذاك قرية صغيرة تحتوي على بيوت من الطين وأخبية من الشعر وأكواخ يسكنها المجاورون ويأوي إليها الزائرون، وحين نزل هذه الأرض المقدسة نزل معه ذرية محمد الأفطس وأولاد عيسى بن زيد الشهيد فاستوطنوا فيها. ولعلنا لم نأت بجديد حين نقول إن السيد إبراهيم المجاب لما استوطن أرض كربلاء، اتصلت به بنو أسد الذين كانوا بجوار قبر الإمام الحسين عليه السلام وصاهرهم، ثم أصبحت كربلاء منذ ذلك الحين مدينة كبيرة لها موقع مهم في التاريخ لمكانتها وقدسيتها، حيث تشرفت بوجود قبري الإمام الحسين بن علي وأخيه العباس عليهما السلام، لذا وفدت عليها الأقوام زرافات ووحداناً للزيارة والسكنى فيها.

تكاد تنص المصادر التاريخية أن أول علوي سكن كربلاء من السادة العلويين بعد مقتل المتوكل العباسي (سنة ٢٤٧هـ) هو السيد إبراهيم المجاب بن محمد العابد بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، فاستقر فيها هو وأولاده، فكان عالماً زاهداً عابداً ورعاً

تقياً نقياً، وأنجب ذرية اتخذوا كربلاء موطناً لهم حتى يومنا هذا. وأصبح فخر كربلاء، يتمتع بحكمة وسداد رأي وإخلاص، ويختلف عن سائر العلويين في عقليته وطراز تفكيره وطريقة تعامله مع الناس.

لنستمع ما يقوله المؤرخون في سيرة هذه الشخصية المشهورة في ذلك الزمن: (في الجواب عن أول من جاور الحائر المقدس من الأشراف الحسينية: فاعلم أن آل إبراهيم المجاب ويقال له إبراهيم الضرير الكوفي بن محمد العابد بن موسى الكاظم عليه السلام أول من سكن الحائر فيما أعلم ولم أعثر على من تقدم في المجاورة عليهم فإن علماء النسب كلهم ينسبون محمد بن إبراهيم المجاب بالحائر ويصفون إبراهيم المجاب نفسه بالكوفي. وفي بالي أني رأيت أنه كان إبراهيم المجاب الضرير مجاوراً بالحائر أنه مات وقبره هناك معروف، لكني لا أذكر الكتاب الذي رأيت فيه ذلك، لكن نص الكل على أن ابنه محمد الحائري كان في الحائر وعقبه بالحائر كلهم ورأيت في بعض الكتب أن محمد الحائري بن إبراهيم المجاب دفين دير الخابور من أعمال الرقة مات هناك ودفن بالدير المذكور والله أعلم، وأما أبوه إبراهيم المجاب فهو دفين الحائر بالاتفاق...)[1].

وجاء في كتاب (الأصيلي) ما يلي: (أما إبراهيم المجاب فقالوا: سمي بالمجاب برد السلام وذلك لأنه دخل إلى حضرة أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام فقال: السلام عليك يا أبي فسمع صوت وعليك السلام يا ولدي والله اعلم وعقبه من ولده محمد الحائري لأم ولد)[2].

وفي كتاب (التذكرة) قوله: إبراهيم الضرير الكوفي المجاب في المجاب برد السلام يقول الشاعر من ولده:

من أين للناس مثل جدي
موسى أو ابن ابنه المجاب
إذ خاطب السبط وهو رمس
جاوبه أكرم الجواب[3]

قال الشيخ المفيد في كتابه (الإرشاد) في باب عدد أولاد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وهو يصف محمد العابد والد السيد إبراهيم المجاب: (وكان محمد بن موسى من أهل الفضل والصلاح أخبرني أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى قال حدثني جدي قال: حدثتني هاشمية مولاة رقية بنت موسى قالت: كان محمد بن موسى صاحب وضوء وصلاة وكان ليله كله يتوضأ يصلي فنسمع سكب الماء والوضوء ثم يصلي ثم يرقد سويعة ثم يقوم فنسمع سكب الماء والوضوء ثم يصلي فلا يزال ليله كذلك حتى يصبح، وما رأيته قط إلا ذكرت قول الله تعالى: (كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ))[4].

وقال السيد بحر العلوم: (وإنما لقب أبوه محمد العابد لكثرة عبادته وصومه وصلاته).

وجاء في كتاب (غاية الاختصار): (سمي المجاب برد السلام وذلك لأنه دخل إلى حضرة أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام فقال: السلام عليك يا

أبي فسمع صوت وعليك السلام يا ولدي)[٥].

والذي يستفاد من كتب الأنساب والمشجرات العائلية المحفوظة في دور السادة أن نسل محمد العابد بن الكاظم عليه السلام منحصر في إبراهيم المجاب فقط حتى أن البخاري أبا نصر قال: (إن كل من انتسب إلى محمد العابد بن الكاظم من غير ولده إبراهيم فهو دعي كذاب)[٦].

ويقول أبو الغنائم العمري في كتابه (المجدي): (ولد لمحمد بن الكاظم وهو لأم ولد سبعة أولاد منهم أربعة أناث هن: حكيمة، بريهة، فاطمة، والرجال جعفر أولد وانقرض ومحمد النسابة مقل، وإبراهيم الضرير ومنه عقبه)[٧].

وجاء في كتاب (عمدة الطالب) ذكر أولاده فقال بالحرف الواحد: (والعقب من محمد بن موسى الكاظم عليه السلام في إبراهيم المجاب وحده ومنه في ثلاثة رجال: محمد الحائري وأحمد بقصر بن هبيرة وعلي بالسيرجان من كرمان والبقية لمحمد الحائري بن إبراهيم المجاب كذا قال الشيخ تاج الدين)[٩].

وقال فخر الرازي في (الشجرة المباركة) ما هذا نصه: (وأما محمد بن موسى الكاظم عليه السلام فعقبه من ابن واحد اسمه إبراهيم الضرير الكوفي)[١٠].

ويؤكد ابن الطقطقي المتوفى سنة (٧٠٩هـ) ما ذكره النسابون بقوله: (أما إبراهيم المجاب فقالوا: سمي بالمجاب برد السلام وذلك لأنه دخل إلى حضرة أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام فقال: السلام عليك يا أبي فسمع صوت وعليك السلام يا ولدي والله أعلم وعقبه من ولده: محمد الحائري لأم ولد)[١١].

ولعل من المفيد أن نشير إلى رأي المؤرخ ابن الفوطي حيث قال: (المجاب برد السلام أبو محمد إبراهيم بن أبي جعفر محمد العابد الصالح بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق الهاشمي العلوي الزاهي. كان من الزهاد العباد كثير الدعاء والأوراد وكان لا يخرج من بيته إلا لضرورة وهو مواظب على العبادة ليلاً ونهاراً والذي يروي عنه أنه دخل ذات يوم إلى حضرة علي عليه السلام وقيل حضرة جده الحسين عليه السلام فقال: السلام عليك يا أبه، فأجابه وعليك السلام يا ولدي أو كما قال: وعلق المحقق في حاشية الصفحة بقوله: في عمدة الطالب إبراهيم الضرير بن محمد بن موسى الكاظم عليه السلام فهو المعروف بالمجاب وقبره بمشهد الحسين معروف مشهور قال السيد الأمين في الأعيان: أما سبب تلقيبه فيقال إنه سلم على الحسين عليه السلام فأجيب من القبر والله أعلم بصحة ذلك. وفي لباب الأنساب لابن فندق ص٧١٦ نقلاً عن تاريخ نيسابور للحاكم أنه حضر بنيسابور وروى بها الحديث سنة ٢٨٥)[١٢].

وممن عدد أولاده أيضاً النسابة السيد جعفر الأعرجي قائلاً: (وأعقب إبراهيم المجاب بن محمد العابد من ثلاثة رجال هم: محمد الحائري وأحمد بقصر ابن هبيرة وعلي بالسيرجان من كرمان)[١٣].

وذكره الشيخ السماوي في

أرجوزته:

كالحبر إبراهيم المجاب

وولده الأماجد الأنجاب[١٤]

وخصه الدكتور عبد الجواد الكليدار آل طعمة في كتابه (تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام) فقال: (إن أول من جاور الحائر من الأشراف الحسينية هم حسب الظاهر آل إبراهيم المجاب المعروف بإبراهيم الضرير الكوفي بن محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، فإن آل إبراهيم المجاب هم أول من سكنوا الحائر ولم يتقدم عليهم أحد في المجاورة من العلويين)[١٥].

أما السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة فقد كتب ترجمة مفصلة في كتابه (بغية النبلاء في تاريخ كربلاء) وأتى على عدد من المصادر التي تناولت السيد تاج الدين إبراهيم المجاب، ومما جاء بخصوص قبره قوله: (أقول كان تربة المجاب حتى سنة ١٢١٧ سبعة عشرة وألف ومائتين على ما ذكره أبو طالب بن محمد الأصبهاني في رحلته (مسير طالبي) في الصحن الشريف وعندما ألحق بالروضة الطاهرة الأروقة الثلاثة الشرقي والغربي والقسم الشمالي، أصبح عندئذ ضريحه في الرواق الغربي حيث الشمال كما هو عليه اليوم)[١٦].

وقال أيضاً: بوغت تاج الدين إبراهيم بخبر إلغاء المنع وانهيار قواعد السياج وإطلاق حرية كل من يشاء زيارة الحسين عليه السلام وقصد حائره دون أي تعرض، فكان في طليعة الرعيل الأول ممن قصدوا كربلاء من الكوفة ولما نال من صنوف الإنكار وما أوتيه من إطلاق حرية الإرادة أخذ يبث لجده الحسين عليه السلام لما بلغ ساحة كربلاء ما تكابد من محن وأرزاء مع أدائه وجائب التحية والسلام. فلتسليته والترحيب به أجابه السبط برد السلام فاختار تمضية بقية أيامه في جواره، واتخذه لنفسه ولأعقابه من ولده محمد الثاني الذي اشتهر بالحائري وطناً ودار إقامة وسكناً من منذ بقيته الباقية من سنة ٢٤٧ ليومنا هذا سنة ١٣٦٩هـ. فلسلالته ألف ومائة واثنان وعشرون سنة لم يزالوا حائزين لشرف الجوار على أثر قصد جدهم المجاب تاج الدين إبراهيم[١٧].

وقال المحدث النوري: وكان برفقة الأشتاني[١٨] إبراهيم بن محمد العابد بن الإمام موسى بن جعفر المعروف بسيد إبراهيم المجاب أو إبراهيم الضرير الكوفي فسكن بها وتزوج من بني أسد المجاورة[١٩].

وقال الشيخ محمد صادق الكرباسي: ولما استقر الحكم للمنتصر في نفس السنة وبلغ مسامع الأشتاني توجه من ساعته إلى كربلاء ومعه جماعة من الطالبيين والشيعة فلما وصلوا كربلاء أعادوا للقبر معالمه القديمة[٢٠].

ولقب السيد إبراهيم المجاب بلقب صاحب الصندوق، وربما جاءت تسميته بصاحب الصندوق لأنه كان يمسك بمصالح المرقد وأوقافه على اعتبار أنه وكما سيأتي أول من سكن كربلاء من السادة العلويين، وإن كان لا يوجد عندنا نص صريح عن كونه كان راعياً لمصالح الحرم وشؤونه الوقفية إلا أننا

يمكن أن نفهم ذلك من بعض الإشارات الموجودة في النصوص التاريخية فقد ورد أن أولاد السيد إبراهيم بن محمد العابد كانت تولية تلك التربة المقدسة بأيديهم ولم يدفن أحد هناك إلا بإجازة منهم[٢١]، مما يعني أنهم كانوا يمتازون بسيطرة ومركزية على الحرم الشريف وما حوله من الأراضي حتى وصلت سيطرتهم إن لم يكن يسمح لأحد بالدفن في تلك الأراضي إلا بإجازة منهم[٢٢].

من خلال هذه الروايات المتقدمة اتضحت لنا شخصية السيد إبراهيم المميزة بين السادة العلويين، فضلاً عن كونه جليلاً عالماً عابداً إلا أنه لم يذكر في تراجم المشاهير من العلماء[٢٣]. ولم أقف إلى اليوم على تاريخ مولده ولا على تاريخ وفاته رغم كثرة المصادر التي تعرضت لسيرة حياته.

أما بخصوص مرقده الشريف فيذكر لنا عماد الدين حسين اصفهاني في كتابه (تاريخ وجغرافيائي كربلا معلى) الفارسي ما تعريبه: (في القسم الغربي من الضريح - يعني ضريح الإمام الحسين عليه السلام - قبر السيد إبراهيم المجاب بن محمد العابد بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وهو ضريح مصنوع من البرنج[٢٤]. وقد سبق أن قلت إن السيد إبراهيم المجاب بن السيد محمد العابد المدفون في شيراز ابن الإمام الهمام موسى بن جعفر عليه السلام يقع مرقده الشريف في الزاوية الشمالية الغربية من الرواق المعروف باسمه في الروضة الحسينية، وعليه

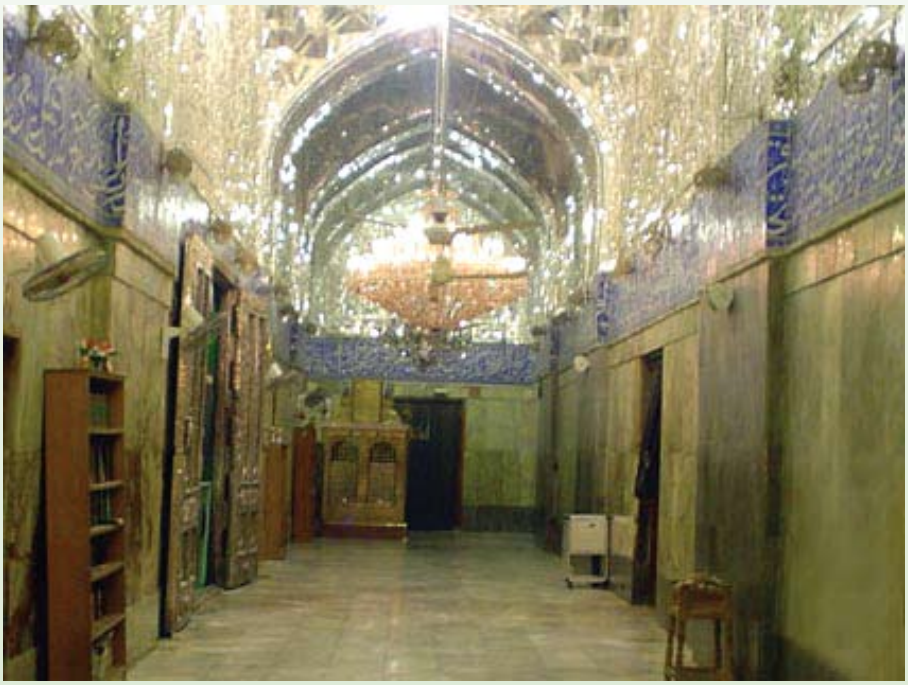

ضريح لطيف الصنع من البرونز[٢٥].

في عهد السلطان أويس الإيلخاني وولده السلطان حسين سنة ٧٦٧هـ جدد البناء الموجود على قبر الحسين عليه السلام[٢٦]، كان الشباك الذي وضع على قبر السيد إبراهيم المجاب مصنوعاً من الخشب الساج المطعم بالعاج، وبعد مرور عدة قرون صنع له ضريح من البرونز الأصفر. حدثني الرواة أن هذا الضريح قد تضعضع وتساقطت بعض أجزائه، فقيض الله له الأختين العلويتين (جميلة وأسماء) ابنتي السيد جعفر السيد سعيد البغدادي وعملتا ضريحاً بديع الصنع جميل الشكل وذلك في سنة ١٣٥٨هـ، وقد تولى صياغته المرحوم عباس نصر الله. ويتقدم الضريح الماثل اليوم رواق عرف برواق السيد إبراهيم المجاب، وهو الواقع فوق رأس حضرة سيد الشهداء.

ولا يزال أحفاد وأعقاب ذلك السيد الجليل النبيل ساكنين كربلاء[٢٧]. ويقصد الزوار هذا الضريح لطلب الحوائج. ومن ذراريه اليوم (آل أبي الفائز) بالحائر وهو محمد بن محمد علي بن أبي جعفر محمد الخير العمال بن علي المجدور بن أحمد بن محمد الحائري بن السيد إبراهيم المجاب[٢٨].

لقد استطاع السيد إبراهيم على مدى السنوات التي عاشها في كربلاء أن يؤكد قدرته الكبيرة في التغلب على الصعوبات والمعوقات السياسية التي واجهته في حياته، فقد واصل طريقة أبيه وجده في مواجهته للاتجاهات العقائدية المنحرفة والنزاعات الشعوبية والأفكار الإلحادية التي أخذت تتشط وتبث سمومها في نفوس الناشئة الإسلامية، فتصدى لها ونقدها وحاورها بأدلته العلمية الرصينة وأوضح للملأ تفاهة تلك الانحرافات والنزعات والإلحاد حتى اعترف قسم كبير من حملة تلك المبادئ بأخطائهم وراحوا يجرون أذيال الخيبة، حين شعروا بخطئهم وفساد رأيهم.

يلاحظ القارئ في هذا البحث تاريخ حياة هذه الشخصية الملكوتية الكريمة التي هي مظهر ساطع للصدق والصراحة والصلاح، مع عرض واضح للبيئة التي نشأ بها وعاشها والأسباب والظروف التي مهدت لإظهار عظمته، وأغرب ما مر في حياته، مع تحليل دقيق وصادق لأبرز المواقف التي وردت في كتب النسابين والمؤرخين المعول عليهم.

وجدير بالذكر أن السيد إبراهيم المجاب قضى عمره المبارك في الخدمة من أجل إحياء دين جده النبي محمد صلى الله عليه وآله، والقيم الدينية وإقامة سنة النبي وأهل بيته عليهم السلام، وصيانة الفضائل ومكافحة الرذائل، وواجه بشدة مخالفي الدين والعقيدة الذي أظهروا الفساد في الأرض، وتحمل ما تحمل من المشاق في هذا المجال.

كنت أهدف من هذه الأسطر خدمة تراثنا الإسلامي، وإبراز الجوانب المضيئة منه، سائلاً المولى العلي القدير أن يتقبل هذا الجهد وأن يجعله في صالح الأعمال، والله من وراء القصد ■

---

(١) نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين، السيد حسن الصدر، ط٢، كربلاء،

١٩٦٥م، ص .
(٢) المصدر السابق، ص٧٠.
(٣) التذكرة في الأنساب المطهرة، جمال الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن المهنا العبيدلي، من أعلام القرن السابع، تقديم: السيد مهدي الرجائي، قم، ١٤٢١هـ.
(٤) الإرشاد، للشيخ المفيد محمد بن النعمان العكبري البغدادي، ت٤١٣هـ، بيروت، ١٤١٤هـ.
(٥) الفوائد الرجالية، للسيد بحر العلوم، ج١ ص٤٣٥ ، النجف، ١٣٨٥هـ.
(٦) غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار، السيد ابن زهرة نقيب حلب، ص٨٩، النجف، ١٣٨٢هـ.
(٧) سر السلسلة العلوية، أبو نصر سهل بن عبد الله البخاري، ص٤٤، ط النجف، ١٣٨١هـ.
(٨) المجدي في أنساب الطالبيين، أبو الغنائم محمد بن علي العلوي العمري النسابة، إيران، ١٤٠٩هـ.
(٩) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، السيد أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة، ص١٦، ط٢، النجف ١٣٨٠هـ.
(١٠) الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، فخر الرازي، ص١٠٣، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، قم، ١٤١٩هـ.
(١١) الأصيلي في أنساب الطالبيين، صفي الدين محمد بن تاج الدين المعروف بابن الطقطقي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، ص١٨٣، قم، ١٤١٨هـ.
(١٢) مجمع الآداب في معجم الألقاب، عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣هـ، ص٣٥٦، تحقيق: محمد الكاظم، طهران، ١٤١٦هـ.
(١٣) مناهل الضرب في أنساب العرب، السيد جعفر الأعرجي، ص٤٧٤، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، قم، ١٤١٩هـ.
(١٤) مجالي اللطف بأرض الطف، الشيخ محمد السماوي، ص٦٥، النجف، ١٩٤١م.
(١٥) تاريخ كربلاء وحائر الحسين، د. عبد الجواد الكليدار آل طعمة، ص١٥١، ط٢، النجف، ١٩٦٧م.
(١٦) بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة، ص١٢٠، بغداد، ١٩٦٦م.
(١٧) المصدر السابق، ص١٢٨، ١٢٩.
(١٨) هو محمد بن الحسين بن علي المعروف بالأشتاني أحد أعلام المئة الثالثة الذين زاروا كربلاء، ففي أيام المتوكل توجه إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام سنة ٢٤٠هـ ليلاً بمعية رجل من العطارين وخفي عليهما معالم القبر وذلك لكثرة ما كان مخر وحرث حوله فجعلا يتحريان جهة القبر حتى عثرا عليه فشاهداه وقد قلع الصندوق الذي كان حواليه وكرا راجعين بعد أن نصبا حول القبر علامات شاخصة. انظر: مدينة الحسين، للسيد محمد حسن الكليدار آل طعمة، ج٢، ص٨٨ و٨٩.
(١٩) دائرة المعارف الحسينية، تاريخ المراقد، محمد صادق محمد الكرباسي، ج١ هامش رقم ٨، بيروت، ٢٠٠٣م.
(٣٠) المصدر السابق، تاريخ المراقد، ج١ ص٢٨٥.
(٢١) الغدير، الشيخ عبد الحسين الأميني، ج٤ ص٢١١، ط٤، بيروت، ١٩٧٧م.
(٢٢) المجاب برد السلام، الشيخ وسام البلداوي، ص١٦، كربلاء، ٢٠٠٧م.
(٢٣) كتاب الدرتين في أحوال السيدين إبراهمي المجاب وابنه أحمد، الشيخ علي القسام، تحقيق: جواد عبد الكاظم محسن، ص١٩، بيروت، ١٩٩٩م.
(٢٤) تاريخ وجغرافيائي كربلا معلى، حسن عماد زاده اصفهاني، ص١٥٠، إيران، ١٣٦٦هـ.
(٢٥) تراث كربلاء، سلمان هادي آل طعمة، ط٢ ص١٠٦، بيروت، ١٩٨٣م.
(٢٦) بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة، ص٧٠، بغداد، ١٩٦٦م.
(٢٧) تاريخجة كربلا، الشيخ محمد كلباسي الحائري، ص١٤٣، طهران، ١٣٩٠هـ.
(٢٨) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، السيد أحمد بن عنبة، ص٢١٧.

العوامل المتحكمة في بناء الشخصية

أحمد حسين الزاملي •
كلية العلوم/ جامعة الكوفة

ينابيع يعتبر الإنسان في نظر علماء الاجتماع كائن مدني بطبعه، يتعامل مع غيره ويسعى إلى التكيف مع مختلف المواقف ولكن واقعياً لكل فرد أسلوبه في التفكير ومزاجه وعواطفه ومواهبه، هذا التميز والاختلاف يعرف في الفلسفة وعلم النفس بالشخصية، غير أن العوامل المتحكمة في بناء الشخصية مسألة جدلية معقدة ويمكن التعبير عن هذه الإشكالية من خلال التساؤل التالي: هل الشخصية تتحكم فيها عوامل الوراثة أم البيئة؟

الرأي الأول (الأطروحة)

ذهب أنصار هذه الأطروحة إلى اعتبار الشخصية من طبيعة وراثية فهي فطرية وليست مكتسبة، والتمايز بين الناس يعود إلى عوامل ذاتية والأنا عندهم معطى أولي وقصدوا بذلك تأثير

الغدد الجسمية والطبع وباقي الأجهزة العضوية.

والوراثة عملية بيولوجية من خلالها تنتقل الاستعدادات والصفات من الأصل إلى النسل أي من الآباء إلى الأبناء، وهذه الاستعدادات عبارة عن مورثات (جينات) الموجودة في مواقع خاصة على الكروموسومات وعددها عند الرجل أو المرأة (٢٣) زوجاً وإجمالي الطاقم الوراثي ما بين (٥٠٠) ألف إلى (٨٠٠) ألف مورث، وانتقال الاستعدادات يخضع لمبدأ الاحتمال والصدفة، وللتأكيد على دور الوراثة أجريت تجربة مقارنة تقتضي تتبع نسل امرأة جميلة وذكية وأخرى عادية وبينت أن النسل الأول أكثرهم تقلد مناسب سامية وشهرة

كبيرة على خلاف النسل الثاني.

ومن العوامل الوراثية تأثير الغدد وخاصة الصماء حتى قيل (نحن تحت رحمة غددنا الصماء فهي التي تتحكم في عواطف المرأة الشابة وانفعالات الشيخ الكبير) ومثال ذلك الغدة الدرقية إذا زاد إفرازها عن الحد الطبيعي تصبح الشخصية متوترة يغلب عليها المزاج الانفعالي الحاد، أما الغدة النخامية فتتحكم في نمو العظام والمفاصل والعضلات، ويعتبر الطبع أبرز العوامل الوراثية حيث عرفه (لوسين) في كتابه (علم الطباع) (إن مجموعة الاستعدادات النفسية الوراثية الثابتة التي تكون الهيكل الذهني لدى إنسان ما)، فالطبع الفعال يجعل الشخصية طموحة وحركية تقبل التحدي من أجل الوصول إلى أهدافها، وهكذا الشخصية نجدها ولا نوجدها.

ورغم ذلك فإن تأثير الوراثة نسبي لأن التوأم الحقيقي رغم التماثل في التركيبة الوراثية لا يتماثلان بالضرورة في الشخصية.

الرأي الثاني (نقيض الأطروحة)

ترى هذه الأطروحة أن الشخصية محصلة لعوامل موضوعية مكتسبة فهي ليست هدية من الطبيعة وإنما تكتسب من البيئة وقصدوا بذلك تأثير الثقافة والمجتمع والتضاريس والمناخ فهي منتوج اجتماعي.

فالمجتمع يزود الإنسان بأسلوب المعاملات ويكيفها مع سلم ارتباط القيم بالسلوك كما ذهب إلى ذلك (رالف لنتون) وهي حقيقة أقرها (جون بياجيية) قائلاً: (الطفل يستمد عاداته الأخلاقية من الخارج - المجتمع - بواسطة والديه والتربية والمدرسة والحياة اليومية)، ورأى (فالون) صاحب كتاب (علم نفس الطفل) أن الشخصية تتطور وتنمو والشعور بالذات يحتاج إلى الآخرين - أفراد المجتمع - (إن الشعور بالذات يتكون بواسطة الآخرين، إنهم أسباب للشعور بالشخصية).

وهنا يظهر تأثير الأصدقاء وكما قال الرسول ﷺ: (المرء على دين أخيه)، حيث تفسر هذه الظاهرة بالتقليد حتى قيل في كتب علماء التربية (قل لي من تصادق أقل لك من أنت)، وترى هذه الأطروحة أن معالم الشخصية تصنعها البيئة المادية - المناخ والتضاريس - فالذي يسكن في الصحراء يكتسب شخصية مغايرة لأبناء الشمال، وهذا ما أثبتته بحوث الانثروبولوجيا التي أجريت على (قبائل أرايش) والتي لوحظ فيها تماثل سلوك الإناث والذكور، وملخص هذه الأطروحة في مقولة (واطسون) - زعيم

المدرسة السلوكية ـ: (أعطني اثنا عشر طفلاً سالمي الجملة العصبية أخرج لكم منهم الطبيب والمهندس وحتى اللص).

نقد ـ مناقشة ـ

إن تأثير البيئة نسبي لأن أبناء الأسرة الواحدة يختلفون رغم وجود نفس العوامل الاجتماعية والثقافية... الخ.

التركيب: لاشك أن الوحدة والتغير هما أساس الشخصية، هذه الحقيقة الفلسفية والعلمية، تدفعنا إلى ضرورة عدم الفصل بين الوراثة والبيئة لوجود ترابط بين ما هو بيولوجي وما هو ثقافي وهذا ما أكد عليه (فرانسوا جاكوب) قائلاً: (سلوك الكائن الحي يشكله التفاعل الدائم بين الوراثة والبيئة) فالتركيبة، الوراثية للطفل تمنحه القدرة على الكلام، لكن مضمون الكلام أي ـ الألفاظ والعبارات ـ تحدده الطبيعة ومنه يولد الإنسان بشخصية قاعدية ثم يطورها وكما قال (ألبرت) (لا يولد الطفل بشخصية كاملة التكوين وإنما يبدأ بتكوينها منذ الولادة)، وهي لا تقبل التغير إلا في حدود ما تسمح به الوراثة والبيئة معاً.

الخاتمة

ومجمل القول، (الشخصية) هي (ذلك الكل المركب المتفاعل الذي يشمل الجوانب الجسدية والعقلية والاجتماعية والتي تميز الفرد عن غيره)، إنها التفاعل الديناميكي بين مختلف الأجهزة العضوية والنفسية وهي تشمل المزاج والطبع وأسلوب المعاملات... والحقيقة أنه لا يكاد يخلو بحث فلسفي قديم من إشارة إلى النفس والأنا لكونها إشكالية فلسفية على قدر كبير من الأهمية، واليوم تظهر إشكالية (العوامل المتحكمة في بناء الشخصية): وهي قضية جدلية بين أنصار الوراثة الذين اعتبروا (الأنا معطى أولي)، وأنصار البيئة الذين رفعوا شعار (الإنسان ابن بيئته)، ومن منطلق فلسفي وعلمي نستنتج: مصير الشخصية تتحكم فيه العوامل الداخلية (الوراثة) والعوامل الخارجية وهي العوامل البيئية ■

من غرائب الشعر

ألـــوم صديقي وهـــذا مـــحـــال
صديقي أحبـــه كـــلام يـــقـــال
وهـــذا كـــلام بلـــيغ الـجـمـال
محـال يقـــال الجمـال خـــيـــال

الغريب في هذيين البيتين أنهما يقرآن أفقياً وعمودياً

فهارس مجلة ينابيع

نظراً لكثرة السؤال عن المقالات التي نشرت في الأعداد السابقة من مجلتنا (ينابيع) ارتأت أسرة المجلة عرض فهرس للمقالات المنشورة ومرتبة حسب أبواب المجلة

* * *

فهرس الأعداد

(١٦) إلى (٢٠)

المقالة	الكاتب	العدد	الصفحة
قرآنيات			
تأصيل فكرة إعجاز القرآن	عادل عباس النصراوي	١٧	٨
المفهوم القرآني للغلو	محمد جواد فخر الدين	١٧	١٢
مع العلامة الطباطبائي ومقدمته في تفسير الميزان	د. محمد محمود زوين	١٨	٤٠
لغة تميم في القرآن الكريم	مهدي الظالمي	١٨	٤٥
مع العلامة الطباطبائي ومقدمته في تفسير الميزان/ ح٢	د. محمد محمود زوين	١٩	٣٦
التوجيه الدلالي في آية الولاية	عادل عباس النصراوي	١٩	٣٩
التوجيه الدلالي في آية التطهير	عادل عباس النصراوي	٢٠	٣٢
الرزق في سورة النحل	أ.م.د. عامر عمران الخفاجي	٢٠	٤٠

المقالة	الكاتب	العدد	الصفحة
آمن الرسول			
علامات آخر الزمان وعصر الظهور	سعد حاتم مرزه	١٧	٢٠
الغلاة وأساليبهم في ضرب العقيدة الإسلامية	محمد جواد فخر الدين	١٩	٥٢
بحث في رؤية الله تعالى	الشهيد السيد عز الدين بحر العلوم	١٩	٥٨
قضايا معاصرة			
الفساد الإداري.. الأسباب والمظاهر والمكافحة	أ.د.رضا صاحب أبو حمد	١٩	٤٨
استطلاع المجلة			
مرقد سعيد بن جبير.. إشراقة في عالم الإباء	حيدر الجد	١٧	٢٦
الهاشمية.. عاصمة الماضي مدينة الحاضر	حيدر الجد	١٨	٥٤
مزار موسى المبرقع نفحة جوادية تفوح في قضاء قم	حيدر الجد	١٩	٦٢
مرقد أبن أدريس...صرح خالد في الحلة الفيحاء	حيدر الجد	٢٠	٤٦
في رحاب الفقه			
أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مد ظله)		١٨	٧٢
أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مد ظله)		١٩	٧٨
أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مد ظله)		٢٠	٦٠
واحة الأدب			
قصيدة: إمام الخلود	د. محمد الحلي	١٦خاص	٣٥
قصيدة: انعتاق الطفوف	عبد المجيد فرج الله	١٦خاص	٤١
قصيدة: العباس بن علي(ع)	السيد محمد جمال الهاشمي	١٦خاص	٦٨
خصائص القصيدة الحسينية في لامية هاشم الكعبي	د. حسن الخاقاني	١٦خاص	٩٤
من أدب السبي...واقعة الطف أنموذجاً	د.حافظ المنصوري	١٦خاص	١٠٦
قصيدة: أبا التضحيات	سلمان هادي آل طعمة	١٦خاص	١١١
الأثر النبوي في كلام الإمام علي(ع)	عباس علي الفحام	١٧	٤٦
قصيدة: التقي الخالد	عبد الأمير جمال الدين	١٧	٥٢
بين حواء ومريم وفاطمة	الشيخ محسن أبو الحب	١٨ملف	٣

المقالة	الكاتب	العدد	الصفحة
الزهراء...عودة الحلم المشرق	الشيخ عبد المجيد فرج الله	١٨ ملف	٤
براعة البيان في خطبة الزهراء(ع)	أ.م.د. مشكور العوادي	١٨ملف	٦
قراءة نقدية في رثائية الشيخ حبيب شعبان في ذكرى فاطمة الزهراء(ع)	د. حسن الخاقاني	١٨ملف	٢٠
الخطبة الصغرى لفاطمة الزهراء(ع) دراسة وفن	د. عبد الإله عبد الوهاب العرداوي	١٨ملف	٢٨
قصة قصيرة: النذر	بنت العراق	١٨	٧٦
قصيدة: في ميلاد الإمام الحجة المنتظر	عبد الغني الشيخ باقر الجابري	١٩ ملف	٤
قراءة النص	د. زهير غازي زاهد	١٩	٨٢
الأداء البياني في وصية الإمام الكاظم(ع)	د. عبد الإله العرداوي	١٩	٩٠
قصة قصيرة: طريق العودة	بنت العراق	١٩	١٠٠
البيان الصادع في خطبتي العقيلة زينب	أ.م.د. مشكور العوادي	١٩	١٠٢
قصيدة: في رحاب الإمام الحسن بن علي(ع)	د. محمد حسين الصغير	٢٠ملف	٤
قراءة في خطبة الإمام الحسن(ع) ليلة دفن والده أمير المؤمنين(ع)	د. حيدر كريم الجمالي	٢٠ملف	٦
قراءة في قصيدة (مولد الزكي) للشيخ عبد المنعم الفرطوسي	د. حسن الخاقاني	٢٠ ملف	٢١
قصيدة: يا شيخ طيبة	جاسم الصحيح	٢٠	٦٤
قصة قصيرة: أمل	بنت العراق	٢٠	٦٦
للفضيلة نجومها			
عقبة بن سمعان ووقائع الثورة الحسينية	الشيخ حسن الربيعي	١٦خاص	٨
الريان بن شبيب والأول من المحرم	علي سعد النجفي	١٦خاص	٢٨
جون مسك الصفوة	جواد ابو غنيم	١٦خاص	٤٢
من شهداء المنبر الشيخ عبد الأمير أبو الطابوق	أحمد الكعبي الطويرجاوي	١٦خاص	٥٠
الشيخ محمد نصار ونصارياته	د. كريم جبر الزبيدي	١٦خاص	٨٤
موقفان في حياة الإمام السيد محسن الحكيم	حيدر المالكي	١٧	٦٨
الشيخ صالح الكواز	خليل إبراهيم المشايخي	١٧	٧٨

المقالة	الكاتب	العدد	الصفحة
شاكر هادي شكر من رواد تحقيق التراث الإسلامي	كاظم عبود الفتلاوي	١٧	٨٣
الشيخ المفيد.. عرض ودراسة	أ. د. الشيخ صاحب نصار	١٨	٧٨
(نزيل مصر وشاعر العصر) عمارة اليمني	أنمار معاد المظفر	١٨	٨٦
قراءة في سيرة الشيخ كاشف الغطاء	حيدر المالكي	١٩	١١٠
الشيخ أحمد بن فهد الأحساني	سعد الحداد	١٩	١٢٢
الشيخ أسد حيدر رائد التجديد الفكري	د. حيدر نزار السيد سلمان	١٩	١٢٦
الشيخ محمد علي اليعقوبي المجاهد والخطيب	رشيد القسام	٢٠	٨٢
الدور الريادي للسيد عبد العزيز الطباطبائي	حيدر المالكي	٢٠	٨٧
إضاءات السيرة			
صلح الحسن(ع) وثورة الحسين(ع)	المرحوم عبد الحليم مرزة	١٦خاص	١٥
الإمام الحسين(ع) معطيات إنسانية	باسل حسن لايذ	١٦خاص	٣٦
لقاءات الإمام الحسين(ع)... قراءة تحليلية	د. محمد محمود زوين	١٦خاص	٥٤
ثورة الإمام الحسين(ع) الحتمية والخصوصية	طالب علي الشرقي	١٦خاص	٧٠
الإمام الحسين(ع)... ثائراً	الحاج فلاح العلي	١٦خاص	٧٤
رأس الإمام الحسين(ع) المقطوع ومواصلته للرسالة	د. مشكور العوادي	١٧	٥٤
حبيس سامراء	السيد محمد علي الحلو	١٧	٦٢
شذرات من سيرة السبط الشهيد الإمام الحسن(ع)	د. ستار جبار الأعرجي	٢٠ملف	١٠
آراء الإمام علي(ع) في السياسة المالية	أ.د. رضا صاحب أبو حمد	٢٠	٦٨
السيدة خديجة بنت خويلد	ماجدة حسين المؤمن	٢٠	٧٢
أسس التماسك الشيعي في زمن الغيبة الكبرى/ ح٢	السيد علاء الموسوي	٢٠	٧٦
في النفس والمجتمع			
الوعي الإسلامي في حياة المسلم	الشيخ عبد الرزاق فرج الله	١٩	١٣٠
علم الاجتماع.. تعريفه، والموضوعات التي يدرسها	د. حمزة جابر سلطان الأسدي	١٩	١٣٤
طروحات عامة			
دور التصوير الإسلامي في عرض واقعة كربلاء	حيدر الجد	١٦خاص	٢٠

المقالة	الكاتب	العدد	الصفحة
واقعة فخ.. تقارب الأحداث والشخوص	السيد محمد علي الحلو	١٦خاص	٦٢
قراءة في دائرة المعارف الحسينية	أحمد سلمان آل طعمة	١٦خاص	٨٩
المنبر الحسيني...أدوار متعددة وأهداف عظيمة	حيدر نزار السيد سلمان	١٦خاص	١٠٢
مع أنطوان بارا في كتابه (الحسين في الفكر المسيحي)	حسين جهاد الحساني	١٦خاص	١١٢
فلسفة الثورة الحسينية	د. مشكور العوادي	١٦خاص	١٢٠
الدعاء.. ممارسة إنسانية أكدها الإسلام	طالب علي الشرقي	١٧	٨٦
كتاب الجامعة أول مدون في الحديث	الشيخ حسن كريم الربيعي	١٧	٩٢
أصول المكتبة ومنهج البحث العلمي	د.حسين سامي شير علي	١٧	٩٨
الدولة الصفوية.. حقائق تاريخية	د. حيدر نزار السيد سلمان	١٧	١٠٤
الزهد والإسراف في البنيان/ ح١	د.علي ثويني	١٧	١١٠
عقدة القرب النسبي وانهزامية الأنظمة الظالمة حيال ذرية السيدة فاطمة(ع)	السيد محمد علي الحلو	١٨ملف	١٢
إشارات قرآنية في نشوء وتمدد الكون/ ح١	د. عامر عمران الخفاجي د. فيصل علي البصام	١٨	١١٢
الزهد والإسراف في البنيان/ ح٢	د. علي ثويني	١٨	١٢٣
أسس التماسك الشيعي في زمن الغيبة الكبرى	سماحة السيد علاء الموسوي	١٩ملف	٦
حقائق عن الإمام المهدي المنتظر(عج)	توفيق مرتضى الوائلي	١٩ملف	١٥
المهدوية في عصر الإمام الرضا(ع)	علي سعد النجفي	١٩ملف	١٩
المهدي المنتظر كما عرفه علماء الغرب	حسين جهاد الحساني	١٩ملف	٢٢
الزيارة.. عقيدة وممارسة	طالب علي الشرقي	١٩	١٤٠
أضواء على مصطلح الرفض والرافضة	السيد عامر الحلو	١٩	١٤٦
إشارات قرآنية في نشوء وتمدد الكون/ ح٢	د. عامر عمران الخفاجي د. فيصل علي البصام	١٩	١٤٩
العلويون والشعار الأخضر	علي سعد النجفي	٢٠	٩٤
المقرنص وخصوصيته في العمارة الإسلامية	د. علي ثويني	٢٠	١٠٢
الأوزون.. خطر متنام	علي عبد الحسين الصراف	٢٠	١١٤

المقالة	الكاتب	العدد	الصفحة
شهر رمضان ومدينة النجف	د. حيدر نزار السيد سلمان	٢٠	١١٧
تحقيقات			
مرقد العلامة الشيخ أحمد بن فهد الحلي	سلمان هادي آل طعمة	١٧	١٢٠
وجها لوجه			
المخدرات ضرر لا تبيحه إلا الضرورة	السيد محمد صادق الخرسان	١٨	٩٦
المخدرات والإدمان	د. حسين عبد الكاظم عبد الحسين	١٨	١٠١
لقاء العدد			
لقاء مع شاعر أهل البيت(ع) الدكتور عباس الترجمان	أحمد الكعبي الطويرجاوي	١٨	١٠٦
مكتبة الروضة الحسينية المقدسة	علي فضيلة الشمري	٢٠	١٢٢
مقالات متفرقة			
الدكتور نجم الدين محمد هوارمي	من (المتحولون)	١٨	١١١
قصيدة: تراتيل حزن علوية	محمود محمد حسين الموصلي	١٩	٥١

❊ ❊ ❊

العمود..
في العمارة الإسلامية

رافع هامة البناء وشاخص الحكمة في حيثياته

د. علي ثويني •
معمار وباحث/ مملكة السويد

ينابيع

رفع العمود هامة المعبد والبيت والخيمة وأصبح عنصر أساسي في العمارة وأقترن بإعجاز الخالق في رفع السماء دونه ، وأكتسب إيحاءات في السند والاعتماد، وكنّي به المعتمد والعمدة والعميد ورمزت هيئته الصرحية بالطغيان والفراعين و تواجد في أعمدة الشعر و تسلل إلى أهازيج الشكوى واللوعة، أو أنتحب عن ألم أو امتثل لسطوة الموت أو أنشرح متألقا، أو متناغما على إيقاع الكفوف والطبول ابتهاجا. وأنتقل إلى الحداثة الشعرية، حيث يستلقي خلال القصيدة العمودية متثائبا بين السطور أو ممزقا أسفل الكلمات.

والعمود في العمارة أحد العناصر الراسية لذروة البناء كما (العمود الفقري) لرأس المخلوقات و فلسفيا يمكن تخيله نحت سلبي من الكتلة الصماء للبناء، أو بقية باقية من الأجزاء المتضامة له، بما يضمن هندسيا رفع السقف وترك فراغات

المعيشة، وهو الغاية المعمارية والمراد.

وكلمة (عمود) قديمة في لغات الشرق القديم ، حيث ترد في اللغة الأكدية (العراقية العتيقه) بصيغة (عميدو Emedu) ومنها اشتقت (عمدو)، ونجدها في الآرامية في الشام والعراق بصيغة (عموّدا Emmuda) وفي الفينيقية (عمد) والعربي الجنوبي (اليمن) بصيغة (عِمد). بالعربية بصيغ متعددة منها (العمود Column) ومجموعها (عمد) الواردة في الذكر الحكيم في سورة الهمزة (فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ)، ويرد (أعمدة) أو حتى (عمدان). ثم بصيغة (سارية ومجموعها سواري)، أو(وتد وأوتاد) أو (سطن ومجموعها أساطين)، أو (دعامة ومجموعها دعائم)، أو (بدنة) أو (دعامة) وثمة تسمية (شاخص Astragal) وتعني العمود الطويل الأملس، وفي لبنان يصطلح عليه (شمعة)، و في العراق يرد بصيغة (دلك)، وكذلك(دنكه ومجموعها دلكات أو دنك) و يقول

عنها (الشيخ جلال الحنفي البغدادي) في موسوعة الألفاظ البغدادية أنها من مصدر فارسي، وتخص تحديدا البوائك (أعمدة الرواق) التي تحيط بفناء الدار (وتسمى بيجه).وترد في العمارة الإسلامية بالهند بصيغة (ركن Rukn) أو (سطون Sutun). ويرد (العمود الماردي) الذي يرتفع لأكثر من طابق بواجهات المبنى (double volum)، وثمة عمود (مدغم Colossal order) وهو عمود ملتصق مستدير القطاع يزين أحيانا أركان الدعائم التي تحمل الأسقف ويكون ملتصقا بها.وهناك تسميات ترد من وحي العمود مثل (بهو الأعمدة Peristyle أو Hypostyle)، ويعني المبنى الذي يستقر سقفه على أعمدة أو الفناء الذي تدور من حوله البوائك المحمولة على أعمدة.

والعمود في العمارة عنصر إنشائي (شاقولي vertical) أو عنصر قائم، داعم لسقف أو جدار أو أسكفه - عتبه أو عقد، ويراد منه نقل أحمال العناصر الأفقية في التسقيف بحسب الحلول العمارية إلى القواعد والأساسات التي تنقلها للأرض. وهكذا فهو وسيلة نقل العزوم الواردة من عناصر الهيكل الأفقية. والقصد منه الاستفادة من المساحات الحرة التي توظف كفضاءات عمارية. وبسبب اضطلاع العمود بمهمة حمل السقوف، ما ولد هاجس الخشية من الانهيار، وكان قد أرّق البنائين وحفز لديهم جذوة الابتكار. وكان ذلك سببا كافيا بجعل المصريين الأوائل يقاربون بين أعمدة معابدهم تحاشيا لعدم تحمل الجسور بين فواصل البحور، كما في معبد الكرنك. وبالنتيجة قضمت ضخامة الأعمدة وإشغالها الحيز فسحة الفضاء المتاح للوظيفة.

جسد العمود خامات متعددة، بحسب وفرتها في البيئات الطبيعية، فجاءت من خامات القصب والخشب وجذوع النخيل والآجر والحجر وأمست في الأزمنة المتأخرة من الحديد والمعادن أو من الخرسانة المسلحة التي شاعت ولا من منافس اليوم. وتعدى العمود الهيئة البنيوية الى الجمالية، كما هو ديدن الإبداع البشري حينما يرتقي بالوظيفة الى الجمال، وعولج برهافة وذوق وضبطت نسبه، وموورست في كنفه بعض الخدع البصرية، كما عمد اليونان، حينما أكسبوه إنتفاخا في وسطه كي يبدوا سويا عدلا، وليس منبعجا، وقد ذكر الأمر فيتروفيوس الروماني(٨٠-١٥ ق.م) في رسائله العمارية العشر. ومن الجدير ذكره أن هذا المبدأ في الخدع البصري لعناصر البناء قد ورد أصلا من العمارة العراقية الأولى، وجسد أقدمه في المعبد الابيض في (تل خفاجي-منطقة ديالى)، شمال شرق بغداد، الذي يعود إلى نهايات الألف الثالثة قبل الميلاد.

الأعمدة في تاريخ العمارة

تعددت أشكال الأعمدة بتعدد الطرز والعهود التاريخية، واختلفت طرزه باختلاف الأقطار ثم الثقافات و الديانات والمعتقدات، لكن من الثابت أنها بقيت أمينة للتأثيرات الأولى المحاكية للأشكال الطبيعية، ولاسيما في حبكة العناصر الزخرفية والتيجان المميزة للطرز في المدارس العمارية. ونرصد أقدم تداول للأعمدة يرد في العمارتين العراقية ثم المصرية، وقد كان للعمود السومري

المتكـون من حزمة القصـب تاثير لاحق متسلسل حتى على العمارة اليونانية، حيث يـورد بعض منظري العمارة بأن السـواقي الطولانيـة أو الأخاديـد المقنـاة في الجذع Fluted، وكذلـك حلية الخلخـال الناتئ المطـوق للعمود أفقيـا، ماهي إلا فذلكة جمالية وردت من محاكاة للأصل القصبي للعمود (تدعى الشـبه في الهور العراقي)، حينمـا تظهر علـى ظاهر العمـود، والتي عادة ما تطوق بعقال ماسك من القصب او البردي و شكل بذلك الإيحاء الأول لهيئة الخلخال في العمود.

وتصاعـد التـداول فـي العمارتيـن السـومرية والأكديـة وصنعت مـن خامة الطوب أو الآجر، بهيئات مربعة أو دائرية، تحبك قطعهـا بعناية هندسـية، ونجد خير الأمثلة لها فـي العمود الموجود في القاعة العراقيـة في متحف اللوفـر المتكون من أربعـة أعمدة آجرية ضخمة، تتشـكل من أربعـة أسـطوانات دائرية متماسـة تحصر بينهـا حشـوة بهيئـة نجمـة مربعـة. ومـن اللافت للنظر أن تلك الحشوة بنيت بالآجر تكامليا مع حبكة الآجر المشكّل لأبدان الأعمـدة. ونذهـب الى أن تلك الأشـكال الأولـى للأعمـدة قد أنتقلت الـى عمارات الدنيـا، وتأكـد ريادتها بعد أن كشـفته معاول الحفريات فـي القرنين الأخيرين، ووجدنـا إقتباسـاتها المتأخـرة حتـى فـي ألأعمدة المحيطـة بأحواش(أتريوم) بيوت مدينة بومبي الرومانيـة التي دفنهتها حمم البـركان و كانـت مـن آجـر مشـكل بطريقة مدورة جاءتها مع (الأتروسكيين) في القـرن التاسـع قبـل الميـلاد، حينما رحلـوا إليها من شـواطئ الشـام مترعين بأرث سومر.

إن أعمـدة القصـب عنـد العراقييـن القدمـاء مكثـت حتـى اليـوم عنـد سـكان الأهـوار فـي الجنـوب العراقي (الشروقيون)، وبنيت عششهم (صرائفهم) بأعمدة قصبية معصوبة، تربط في سامقها وفيما بينها بجسـور القصب (هطر) لكي تمنـع حركتها الأفقية ثـم تغطى بطبقات من الحصر العـازل (البـواري) المصنوعة مـن ظفـر القصـب المشـظى. وجديـر بمقارنة تلك الهيئة الإنشـائية مع الهياكل الحديدية الحديثة المجسدة في مبنى (رواق المكائـن Galarie de machine) المقام فـي باريـس عـام ١٨٨٨، حينمـا ربطت الأعمـدة الحديديـة فـي نهاياتهـا السـائبة بشـكل (مفصل articulate) ووطأ متسع بحورها حوالي ١٠٠متر.

لكن العمـارة المصرية تمكث رائدة وسـائدة في تـداول الأعمدة ضمن سـياق وفـرة خامة الحجر فـي الطبيعة، ويمكن أن تكون قد سـبقتها خامات نباتية بقيت أشـكالها فـي المنحوتـات الحجرية في التيجـان أو أطنـاف المبانـي، تحاكـي جريـد النخيـل أو زهـرة اللوتـس أو زينة (خكر) التـي هي عبارة عن رؤوس جذوع البردي التي كانـت تربطها عصابات من أعلاهـا وأسـفلها.وكانت توضع الأعمدة فـي صفـوف داخـل البيـوت الكبيـرة والمتوسطة، وقد وردت في بعض الرسوم التمثيليـة، كما في رسـوم تـل العمارنه. والمسـلات لـدى المصريين هـي نوع من الأعمـدة الرمزية التـي لاتوظف في البناء. وقد وردت بعض الأعمدة المصرية تخليدا لآلهتهم أو ملوكهم أو فرسانهم كالعمود الأوزوريسي والعمود ذو الفارس المعروف بالأطلنطي والعمود الهاتوري وغيرها.وقد

قلد الرومان المسلات النصبية كما هو عمود تراجان الذي اشاده المعمار الشامي أبولودور الدمشقي (١٢٥-٦٠ ق.م) في وسط ميدان (الفوروم) الرومي ولاقحها مع الملاحم الناتئة المنحوتة القادمة من العمارة الآشورية.

وفي السياق الإقتباسي فقد نحت الفرس الأخمينيون تيجان أعمدتهم على شكل ثورين، متأثرين بحظوة الثور الواردة من العمارة الآشورية كما في آثار برسيبوليس. وتدلول الأغريق الأعمدة ولعبت أدوار إنشائية و جمالية وحتى رمزية وكانت الحكمة لديهم ترفع على سبعة اعمدة. وبالرغم من إقتباس اليونان للأعمدة من مصادرها الشرقية لكنها نسبت لهم جزافا وأمسى (الترتيت المعماري architectural order) مقترنا بعمائرهم مع أن الحفريات كشفت ما يدحض ذلك ويعودها الى فينيقيا ومصر. وأمست أنواع الأعمدة اليونانية معيارا لما في الدنيا مع أنها مقتبسة من مصادر شرقية، وبذلك صارت أبدانها وتيجانها وقواعدها تميز الطرز ومرجعيتها. وبذلك فأن طرز الأعمدة اليونانية التي تلقن اليوم لدارسي تاريخ العمارة والفنون، و هي على ثلاث أنواع:

١ - الطراز الدوري Doric، وظهر في سواحل البيلوبونيز وإيطاليا وصقلية، و لم ينسب إلى الأم الدورية، ونشأ منه نوعان : الدوري الإغريقي، والدوري الروماني.

٢ - الطراز اليوني Ionic ويعتقد بأن جذوره تعود إلى أصول رافديه وحيثية و ظهر في العمارة الكنعانية الفينيقية وتوجد أمثله له في الأطلال الفينيقية بما يدعى (السابق للايوني (Preionic ثم تسنى له الانتقال الى اليونان عن طريق آسيا الصغرى وانتشر بها أواسط القرن السادس قبل الميلاد، ثم الى سواحل بحر إيجة وبعض الأراضي الشرقية التي كانت تحت حكم اليونان.

٣ - الطراز الكورنثي Corinthian، وورد من أصول العمارة المصرية ثم انتقل الى الإغريق ونشأ في مدينه أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد، واشتقت تسميته من مدينة كورنث اليونانية، وطوره الرومان في حقبة لاحقة. ويتشكل تاجه من نسقين من أوراق نبات الأقنثا. وظهر من هذا الطراز نوعان: الكورنثي الإغريقي، و الكورنثي الروماني.

واستعمل الرومان في عمارتهم نفس طرز الأعمدة الإغريقية الدوري والايوني و الكورنثي، وأدخلوا عليها بعض التعديلات، كما الدوري الروماني و الكورنثي الروماني، وفي بعض الأحيان كانوا يدمجون الطرز الثلاثة في عمود واحد. وكان للنهج الكورنثي النصيب الأكبر في الانتشار والشيوع أكثر من غيره، الذي نجد أقدمه في آثار تدمر السورية، وفي بدايات هذا العهد نشأ منه نوع مطور نشاهده في أطلال مدينة أفاميا حيث يأخذ بدن العمود شكلا حلزونيا مع بقاء التاج كورنثي الطراز. وظهر كذلك في هذا العهد طرازان جديدان هما :

١- الطراز التو سكاني Tuscan إنتسابا الى منطقة توسكانيا الإيطالية وهو طراز دوري روماني دون زخارف.

٢- الطراز المركب Composite نموذج طوره الرومان في حقبة متأخرة، ويتألف تاجه في نصفه العلوي من الزخرفة

الأيونية، و نصفه السفلي من الكورنثية.

وغالبية هذه الأعمدة مقناة الجذع Fluted (تزخرف جذعها الأقنية الطولانية) أو ملساء. كما ظهرت أشكال جديدة من الأعمدة الحلزونية أو الأعمدة المنفتلة نشاهدها في خرائب مدينة أفاميا قرب حماة السورية. وهناك أيضا (العمود الحلقي Torus) جذعه مزخرف بحلقات فوق بعضها البعض، و(العمود المندمج Engaged) وهو عمود كامل الاستدارة أو نصف مستدير ملتصق بالجدار أو بعنصر عماري اخر. كما وضع الباحثون تسميات لكل جزء من أجزاء العمود، تختلف وتتوافق باختلاف طرزه.فمثلا (المحمول - الطبان Entablature) هو القسم العلوي المحمول على العمود و يتالف من الجبهة والطنف والإفريز و الساكف (الاسكفة). أما الإفريز فهو كلمة فارسية، تعني الشريط الزخرفي بين الساكف والطنف. و(الجائز أو ساكف العمود architrave) هو الجزء الذي يستند عليه الإفريز و الطنف. أما الوطيدة أو الوزرة، فهي قاعدة مربعة Plinth، وهي جزئية في أسفل العمود. وثمة وسادة حجرية abacus تقع بين تاج العمود والساكف، ملساء أو منقوشة.

تيجان الأعمدة

يعد تاج العمود Capital من عناصره التكوينية وهو رأسه أو ما يتوج أعلاه، وهو يشكل الحالة الإنتقالية من العمود الى الطاق أو الجسر الذي يعلوه. والتاج إما بسيط أو مزخرف، وتختلف زخارفه باختلاف الطابع الفني لكل مدرسة عمارية. وبالرغم من ذلك فلم تنتقل تلك الطرز بحذافيرها في فنون نفس الإقليم. فلدينا مثلا تيجان الأعمدة الفرعونية المستوحية نباتات وأزهار وادي النيل لم تنتقل الى تيجان الأعمدة في مصر الإسلامية. والحال نفسه لدى الفرس الأخمينيون الذين نحتوا تيجان أعمدتهم على شبه ثورين، ولم تعمم في التيجان الإسلامية. وعلى العموم يمكن رصد أهم تسميات التيجان الواردة من اليونان :

١ - التاج الدوري Doric ونشأ منه

تيجان : الدوري الإغريقي، والدوري الروماني، وهما طرازان بسيطان إذا ما قورنا بالتيجان الكورنثية أو الايونية.

٢ - التاج اليوني Ionic مزخرف بشكل حلزوني.

٣ - التاج الكورنثي Corinthian يتشكل تاجه من نسقين من أوراق نبات الأقنثا Acanthus. وهو الأكثر شيوعا، وظهر منه الكورنثي الإغريقي أو الروماني. واستعمل الرومان في عمارتهم نفس طرز التيجان الإغريقية : الدوري والايوني و الكورنثي، و أدخلوا عليها بعض التعديلات أو يدمجوا الطرز الثلاثة في تاج واحد.والكورنثي الأكثرإنتشارا من غيره، و نشاهده في أطلال مدينة أفاميا. كذلك ظهر طرازان جديدان هما:

التوسكاني Tuscan وهو طراز دوري روماني تاجه بسيط غير مزخرف، وقد عم في عمارة المغرب العربي إبان حروب (الإسترداد) في القرون الوسطى، ونقلها أسرى الحروب من الأوربيين الى تلك الديار.

المركب Composite نموذج طوره الرومان في حقبة متأخرة، ويتألف تاجه في نصفه العلوي من الزخرفة اليونية، ونصفه السفلي من الكورنثية.

العمود في العمارة الإسلامية

يكتسي العمود في النصوص القرآنية رمزية رفع قبة السماء كما في سورة لقمان (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) أو يوحي بتاريخ بائد كما في سورة الفجر (إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ)، ومازال موقع وصفة تلك الأعمدة يؤرق المحللين والدارسين، وتذهب البحوث الحديثة الى أنها حاضرة تقع في الربع الخالي كشف عنها مسبار هافل، ويحتمل أنها تكون أصل حضارة آرام التي عمت جنوب الجزيرة والخليج والعراق والشام. ويرمز العمود كذلك للبذخ والطغيان مثل ما ورد في سورة ص (وَفِرْعَوْنَ ذُو الْأَوْتَادِ). و البذخ على الأعمدة كان مدعاة فخر وخيلاء الخاصة، فها هو عبيد الله بن زياد يقول للناس بعد اكتمال مسجد الكوفة: (يا أهل الكوفة قد بنيت لكم مسجداً لم يبن على وجه الأرض مثله وقد أنفقت على كل أسطوان سبع عشرة مائة ولا يهدمه إلا باغ أو جاحد).

لقد استعمل المسلمون في بواكير عمائرهم أعمدة المباني الدارسة، ولاسيما في مدارس البحر المتوسط العمارية كالشام ومصر والمغرب والأندلس حيث توفر الكثير من العمائر الحجرية من الحقب السالفة. ولم يهم البنائون كثيرا إشكال عدم التجانس في الشكل أو الطول، بقدر ما يوفره العمود وتاجه من وظيفة في رفع السقوف. ويرد في التراث ذكر المسعودي في مروج الذهب :(بأن جيرون بن سعد بن عاد حل بدمشق فمصرها، وجمع عمد الرخام والمرمر إليها، وشيد بنيانها). وأستعمل المسلمون التيجان المنزوعة من العمائر العتيقة الدارسة والتي تشكل اليوم جزء من طرز عمارة المساجد الأولى كما الاموي في دمشق وقرطبة والقيروان.وقد وجدنا في أحد مساجد دمياط شمال مصر، وقد وضف تاج قديم كقاعدة لعمود.

لقد ورث المسلمون من الأعراف القديمة نظام (الأكتاف) التي هي حالة بينية بين العمود والحائط الحامل الصفيق. وقد كانت شائعة في العمارة السومرية

والبابلية. ونجد أجمل نماذجها في الإسلام موجود في مسجد سامراء الكبير أيام المعتصم عام (٢٢١هـ\٨٣٥م) وتبعه جامع ابن طولون في مدينة القطايع (٢٥٧هـ ٨٧١م) التي نشأت على تخومها بعد قرن القاهرة الفاطمية.

ولا يفوتنا أن جل مباني مصر، ابتداءً من مسجد ابن طولون حتى المملوكية والعثمانية، كانت قد شيدت من أنقاض مدينة الفسطاط الدارسة. ولم يتسنى للبنائين نقل مداميك الحجر الكبيرة من الجيزة. وفي شمال أفريقيا نجد أن مدن عمرت بالكامل من أنقاض التي سبقتها في الموقع أو على تخومها كما (وليلي) القديمة الواقعة عند أعتاب الرباط و(تمقاد وتيبازة) في وسط الجزائر وبطيوة في مدن مليليه ومستغانم. وبعد ذلك قلعة بني حماد الإسلامية في مدن شرق الجزائر وأنقاض قرطاجة الفينيقية في مدن تونس ومحيطها. و تسنى للترك أن يستعينوا ببقايا العمائر البيزنطية ويعيدوا لها رونقها في مدن آسيا الصغرى والبلقان.

وبالرغم من سهولة عملية نقل الأنقاض من الآثار القديمة فأنها تحتاج الى حيلة ومهارة في إعادة توظيفها. و يذكر الفرنسي كوستاف لوبون بهذا الصدد في (حضارة العرب- عام ١٨٨٢): (ان اعمدة المعابد القديمة التي اخذها العرب في قرطبة كانت قصيرة وغير صالحة ليقوم عليها سقف عال كسقف الجامع (جامع قرطبة) فوضعوا بعضها فوق بعض ساترين عدم صلاحها بتلك الحنايا الدالة على مهارتهم الفائقة). ونرصد هنا أن القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية ليست مطابقة لما هي عليه فى العمائر الأوربية، ولاسيما بما يخص طرز بعينها مثل الرومانسك (الشبيه بالروماني) أوالقوطي أوالباروك الأمر الذى لا يجوز معه تطبيق القواعد الجمالية بما يخص نقل أجزاء الابنية الدارسة.

ولم يستغني المسلمون عن خبرات الحضارات الأقدم، واستقدموا صناع من الأصقاع، بما يدعى (الليثوروجيا).و يذكر المقدسي في أن ملك بيزنطة بعث إلى الوليد بن عبدالملك المغالي في حب البنيان بعدد من المهندسين و(المقدرين) وكذلك المفصصين (عمال الفسيفساء) والذهب. و(إن الوليد جمع لبناء الجامع الاموي حذاق فارس والهند والمغرب والروم، وروى ابن شداد أن الوليد أقتلع من كنيسة أنطاكية عمدا عجيبة من المرمر والرخام لمسجد دمشق حملت في البحر إلى ساحلها). و(أن الوليد بن عبدالملك الأموي أقتلع من كنيسة أنطاكية عمدا عجيبة من المرمر والرخام لمسجد دمشق حملت في البحر إلى ساحلها. وأن بعض الجدران بقيت على حالها من المعبد الصابئي والبيعة النصرانية)، ويقصد بها معبد المشتري ثم كنيسة القديس يوحنا.

ولم نرصد تطور على أشكال الأعمدة وتيجانها في بواكير الممارسات البنائية للمسلمين، فقد استعمل الأمويون ما كان قائما، ونشاهد ذلك في أعمدة الجامع الأموي ذوات المقطع الأسطواني، كما الأعمدة الحاملة لقبة الخزنة في صحنه وبعض أعمدة الأروقة، وكذلك الأعمدة ذات المقطع المربع المزخرفة بالحشوات التوريقية والهندسية، وفي سياق وصف هذا الجامع يقول الاصطخري وكذلك ابن حوقل: (وأساطينه رخاما موشى،

و معاقد رؤوس أساطينه ذهبا). ونجد الأمر عينه في مسجد عمر بن العاص في الفسطاط أو مسجد القيروان الجامع، أو حتى الجامع الكبير في قرطبة.

وظهرت أولى الخصوصيات الفنية الإسلامية للأعمدة في العصر الأموي، حيث نجد التاج المنقوش بالخط الكوفي وهذا يبين أن المسلمين قد أخذوا بالأسباب والجوهر و اعتبروا أن عنصر التاج هو محض انتقال مسترسل من دائرة أو مضلع العمود إلى مربع الحائط أو العقد، ويمكن خلق أشكال لانهائية له دون قيود. ولم يحاكوا في تيجان أعمدتهم أشكالاً نمطية أو طرزا بعينها.

ولم تأت الحقبة العباسية بأنواع جديدة في طرز الأعمدة لقلة تداولها عموما في العمارة العراقية التي اعتمدتها مرجعا. وبالرغم من ذلك فقد انتشر استعمال التاج الناقوسي ونجد أمثلته اليوم في تيجان أعمدة رواق جامع أبن طولون. وفي العهد الأيوبي بدأ ظهور التاج المقرنص، وانتشر في العهود اللاحقة. وظهر في العهد المملوكي نقش الأعمدة بالمراسيم الكتابية في أمكنة محدودة كأحد أعمدة رواق الجامع الأموي.وعمود أخر إلى يسار الخارج من بابه الشمالي، بينه وبين ضريح صلاح الدين الأيوبي. وتعددت أشكال الأعمدة في العصور الإسلامية، فكان منها الأسطواني، والحلزوني، والمضلع، والمثمن، والمربع، والمستطيل، وما إليها، ومنها ما كان مكسوا بالرخام أو بالجص أو بالقاشاني أو بالمعدن و بالذهب.وظهر في الأندلس خلال العهد الموحدي نوع من التيجان طبق كذلك في شمال أفريقيا ونجده في المسجد الكبير في مدينة تلمسان غرب الجزائر. وتداول القوم هناك خامات الرخام الفاخر الذي صنعت منه تحفة أعمدة قصر الحمراء ولاسيما في الرواق المحيط بباحة السباع.

ومنذ القرن (الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد) صارت للأعمدة في العمارة الإسلامية تيجانها الخاصة التي تميزها عن التيجان الإغريقية والرومانية والبيزنطية، وتميزت بزخارفها النباتية والهندسية والمقرنصات، ودخل الخط العربي عليها ليجعل لها خصوصية إسلامية بحتة، وقد عمت الكتابات القرآنية أو الشعرية أو الأقوال المأثورة في تجسيدها، وكان للخط الكوفي النصيب الأوفى من بين الخطوط المستعملة لمثل هذه التيجان. واستغلت التيجان لنقش اسم الحاكم أو البناء أو الواقف أو تأريخ المشيدة.

أما التاج المقرنص فقد ظهر في الحقبة الأيوبية، وأنتشر في الحقب اللاحقة. وفي هذه الأزمنة الإسلامية طورت أشكال التيجان، وظهر منها التاج البصلي والناقوسي والمزخرف بأوراق النبات إضافة إلى التاج المقرنص. وجاء العهد العثماني بتيجان ذات تأثيرات سلجوقية مغايرة لمألوف العمارة الإسلامية الأقدم، فأخذت الطرز الجديدة بالظهور، كالتيجان المزخرفة بالأشكال الهندسية، المثلثية منها والمعينية ذات السطوح الملساء النافرة والغائرة. وفي المغرب والاندلس أتسع إنتشار نوع مكعب يكتنفه نحت نباتي سطحي كما في أعمدة قصر الحمراء ومباني فاس وتلمسان.

وفي عمارة فارس وآسيا الوسطى استعملت الأعمدة الخشبية، ولاسيما في الجواسق والمداخل الصرحية، ناهيك

عـن الأعمدة التقليدية المبنية بريازة الآجر المغشى بالجص المحفور كما في مسجد (نايين) الذي يعـود للحقبة البويهية) (٩٣٢-١٠٦٢م). أمـا في عمارة الهند فقد تطورت خلال الحقبة المغولية ابتداءا من السـلطان أكبر الذي أشاد مدينة (فتح بولا سكري) أعـوام (١٥٧٠-١٥٨٠م). والتي طبقت في ثناياهـا عناصر الأعمـدة والتيجان الواردة من العمارة الهندية التقليدية التي سـرعان مـا انقلبـت تباعـا إلـى الطرز الإسـلامية المعروفة، ونجدها في قلعتي أكرا ودلهي الحمراويـن. وطورت في العهـد العثماني تيجـان الأعمـدة، وأخـذت الأشـكال الجديـدة بالظهور، ولم تكـن مألوفة من قبـل، كالتيجـان المزخرفة بالأشـكال الهندسية، المثلثية منها والمعينية، و لكن جـذوع الأعمـدة بقيت ملسـاء، ونشـاهد ذلـك فـي التكية والمدرسـة السـليمانية في دمشـق.قد استخدم الحجر في تجسيد التيجـان ثـم أنتقـل الـى الآجر ثـم ورثها الخشب في العراق وإيران وآسيا الوسطى، ولاسـيما النوع المقرنص الـذي نجده في مقصـورات أصفهان المفتوحة، وأسـتمر حتـى أواسـط القرن في بيـوت بغـداد القديمـة يتـوج (الدلكات) والذي أضمحل بعد حلول العمارة الخرسـانية (الباطـون - الكونكريت) الحديثة.

وعلـى العمـوم فـأن الأعمـدة التـي ابتدعهـا فنانو العمارة الإسـلامية منـذ البدايـة، كانـت تتميز بأشـكال حلياتها الموروثة من أزمنة سابقة للإسـلام و تفذلكـوا في تبسـيطها كي لا تكـون غاية بحـد ذاتهـا للتفريق بينهم وبين الطرز الغربية، وأدخلوا عليها نسبهم الجمالية التي أمسـت ١٢ مرة من (مودول) القطر، وأمسـت تيجان متناسقة كذلك، وأضفـوا عليها رقبة طويلـة وصفحة مربعة مشغولة بالمقرنصات، مع أشغال الأرابسك التي تركز فوقها العقود.

العمود في الحداثة

اضطلـع المعمار بمهمـة الموازنة بين الإنشـاء والفـن والتقانة، لخلـق فضاءات معماريـة صميمـة. وكان أهـل البـاع في عمائـر العصـور الخوالي يتبعـون قوانين إنشـائية وطرق في فهم إسترسـال العزوم مـن العناصـر الأفقيـة خـلال العناصـر الشاقولية، دون حسـابات ومقادير دقيقة للعـزوم، مثلمـا هـو حـادث اليـوم، لذا كان علـم الميكانيـك يدعـى في لتراث الإسلامي بـ(الحيل)، كما لو أنهم أحتالوا على العزوم في هذا العلم. أما الحسـابات المطبقـة اليوم علـى هياكل (الخرسـانة المسـلحة) فهي ليست إلا إستثمار لقوانين

(الميكانيك) في علوم الهندسة التي طبقت على الهياكل الإنشائية منذ ثلاثينيات القرن العشرين. وربما كان الأمر مرهون بالمنهج التحليلي الذي تماهى مع بدايات تداول الهياكل المعدنية إبتداءا من العام ١٧٧٨ في الجسور ثم في العمائر منذ ١٨٥٢ على يد الأنكليزي (جوزيف باكستون) في (القصر البلوري) الذي فتق البحور بين الأعمدة الى أبعاد مهولة، وأستمر تصاعديا حتى يومنا هذا. ولانستبعد في تلك الشجون أن المسلمين أستعملوا قبل الأوربيين هياكل الأعمدة الحديدية، حيث يورد القزويني في حديثه عن مدينة (تستر) (أن الماء يدور حولها وبها الشاذروان الذي بناه شاهبور، امتداده يقرب من ميل مبنيا بالحجارة المحكمة وأعمدة الحديد وملاط الرصاص).

وتسنى للمهندس اليوم حساب مقدار العزوم وحركتها وأستجدت أشكال عناصر هيكلية وتباعدت البحور بين المرتكزات التي أمست مضمونة بموجب الحساب العلمي، وترك هامش لحركتها بما يمنع تصدعها، وتبين أن (حجر الزاوية) او عمود الزاوية هو الأقل خطرا على مقاومة البناء، كونه وببساطة يحمل عزم ربع بلاطة والأوسط أكثر أهمية كونه يحمل أربعة أضعافها، وأبتكر لاحقا حل العناصر المسبقة الجهد للأعمدة والجسور، وأبتكر الشاخص المائل عكس إتجاه التحميل حينما عرف أنه أكثر مقاومة، وكان عين الأمر قد طبقه السومريون قبل ستة آلاف عام في إمالة أعمدتهم القصبية(الشبة)، دون أن يفقهوا ميكانيك المباني.

وعادة ما تكون مقاطع الأعمدة دائرية أو مضلعة أو مربعة أو مستطيلة أو بيضوية أو نصف دائرية أو أكثر من النصف وما إلى ذلك من الأشكال العقلانية.وكانت بدايات تلك الثورة بتداول خامة الحديد في الهياكل الإنشائية، قد وظفت مقاطع صغيرة نسبيا بالمقارنة مع ضخامة العناصر المصنوعة من الخامات التقليدية، بما ولد الكثير من المشاكل لجيل من المعماريين ممن تعود على النسب القديمة في الآجر والحجر وحتى الخشب.

وبعد أن شاع استعمال الخرسانة المسلحة منذ أواسط القرن التاسع عشر، واعتمدت في عمارة القرن العشرين ولاسيما بعد شيوع فكرة الفرنسي (ليكوربوزييه) الداعية إلى طابق أرضي مرفوع على عمد(طابق حر) والتي توسع انتشارها اليوم وأصبحت من سنن العمائر السارية في كل أصقاع الأرض بما توفره من سلاسة في تقسيم الفضاءات بحسب الحاجة والتوظيف. وهكذا أمسى العمود مشروع إدغام مع الحيطان، وتجرد بذلك من الزخرف والحلي وأختزل إلى عنصر هيكلي محض، يغلف عند الحاجة لإبرازه ببعض الخامات كالرخام والقاشاني أو المعدن أو الخشب أو يغشى بالمونة فقط. ثم توسعت أغراضه، وشاع تداول الأعمدة العملاقة الرافعة للحبال المعلقة لأجزاء البناء أو السقوف أو الجسور منذ نهايات القرن التاسع عشر، وظهرت الأعمدة التي تحمل حبال الخيم التي تغطي مساحات شاسعة كما جسدها (أوتو فري) في ملاعب ميونيخ الأولمبية ١٩٧٢. ومازال الأفق مفتوحا لابتكارات وخامات جديدة للأعمدة توظف في خيالات معمارية، وتنقل العمارة من طور إلى طور ■

أزمـــة الاقتصاد الأمريكي

علي الفضل •
كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

بداية تلفت أنظارنا بين الحين والآخر أحداث عالمية ومحلية يدوّن لها التاريخ كتب ومجلدات أحيانا وتشغل العالم بأسره ابتداء من الصغير في أزقة الحي ونهاية بالشيخ الكبير على طاولة المقهى وهو يحتسي الشاي مع رفقاء العمر، فتارة حرب باردة وتارة حرب ساخنة، وعولمة وخصخصة، ونظام عالمي جديد سبب سقوط برجين توأمين مما دفع إلى فتح مدرسة جديدة علق على بابها لافتة (معتقل غوانتنامو)، أحداث كبيرة مسحت بلدان ذات أقدم حضارة

من خارطة العالم، وولدت بلدان ليس لها حضارة وثبتتها بالقوة على خارطة العالم، ونحن نترقب تلك الأحداث ونتابعها وأحيانا نناقشها وأحيانا نخاف حتى من التفكير بها، اليوم قادة العالم في السياسة والقوة العسكرية والاقتصادية في مشكلة !، فالحكمة السياسة وقوتهم العسكرية ودهائهم الاقتصادي خانهم هذه المرة بأزمة عارمة لم يحسب لها ولعلاجها !

فالصدفة كما يروجون كانت ورائها، واغلبنا نحن المساكين نصدق كل شيء بسبب قلة في العلم وتأخرنا، وعدم امتلاكنا الدهاء كدهائهم، واكتفينا بدهاء الصراعات الداخلية والتفكك وبحفر حفرة لأخيك حتى يقع فيها !

تفجرت الأزمة الاقتصادية في أيلول (الشهر المبارك للأمريكيين) كأزمة أمريكية جارة ورائها اقتصاد العالم، سببت نقص حاد في السيولة لدى أشهر البنوك والمؤسسات المالية الأمريكية، تراجعت على أثرها أسواق الأسهم وأسواق المال في العالم مما كبد خسائر كبيرة لكثير من دول العالم والمستثمرين نتيجة انخفاض قيمة الأسهم في الأسواق وتلاشي واختفاء الكثير من المؤسسات المالية نتيجة الإفلاس، الأمر الذي حول الأزمة من أمريكية إلى أزمة عالمية كبرى.

السبب الرئيس للازمة

تنشط في الولايات المتحدة الأمريكية ظاهرة بيع العقارات بالتقسيط والملفت للانتباه ان مشتري العقار لا يهمه سعر العقار الذي تصل أسعاره إلى مئات الآلاف من الدولارات وأحيانا الملايين، بل يهمه مقدار القسط الشهري الذي يجب ان يدفعه (والذي يجب ان يكون متناسب مع دخله الشهري) ومقدار المقدم الذي يدفعه لشراء العقار، دفعت هذه الحالة محدودي الدخل والميسورين إلى العدول عن إيجار العقارات إلى شراء العقارات بالتقسيط مقابل أقساط مقاربة للإيجار الذي كان يدفعه الفرد مع تحمل فوائد أضافية يجب ان يدفعها للبنك الذي اشترى له البيت أو المحل أو الأرض من مكتب بيع العقارات.

الشيء الذي لم يكن في حسبان طالبي شراء العقارات بالتقسيط ان فوائد البنك السنوية تبدأ من مستوى متدني وترتفع قيمتها تدريجيا لتصل إلى فوائد شهرية عالية جدا (فوائد متحركة) على القرض الذي منحه البنك للفرد وفق شرط تم وضعه في عقد البيع ووافق عليه مشتري العقار مما جعله يتحمل القسط الشهري وفوائد شهرية عالية تقوده في النهاية إلى العجز عن السداد والتلكؤ في الدفع، وهنا ستنطبق فقرة أضافية في عقد الشراء على الفرد وهي (في حالة عدم دفع مشتري العقار للقسط الشهري مع الفوائد ستضاعف الفائدة على القرض إلى ثلاث أضعاف)، في هذه الحالة ومع تأكد البنك بعدم قدرة الفرد من دفع الأقساط الشهرية مع الفوائد (أو الشك في تحصيلها) شرع ببيع القرض على شكل سندات للمستثمرين لتحويلها إلى نقد والتخلص من الديون المعدومة والديون المشكوك في تحصيلها وبهذا تحولت المخاطرة من البنك إلى المستثمرين.

والطامة الكبرى أن هؤلاء المستثمرين

قامـوا برهن هذه السـندات لـدى بنوك أخرى (داخـل وخارج الولايـات المتحدة الأمريكية) على اعتبار ان هذه السندات هـي أصول، مقابل الحصول على قروض جديـدة لهـم (أي بمعنى اسـتخدموا ديونا للحصـول علـى مزيد مـن الديـون) وهنا تهاونـت البنـوك المقرضة للمسـتثمرين كثيـرا خارقـة القواعـد والاتفاقيـات الدوليـة (الموضـوع الذي أثار اسـتهجان وسـخط المجموعة الأوربية ودول شـرق آسـيا على الولايات المتحـدة الأمريكية بسبب غض النظر عن هذا الموضوع) من خـلال منح قـروض لهم تصل إلـى (٩٠٪ وأحيانا ١٢٠٪) من قيمة العقار.

والشـيء المضحك في المسألة كلها ان قيمـة السـندات السـوقية وعوائدهـا تعتمـد علـى شـركات خاصـة لتقييـم السـندات، تعتمد في عمليـة التقييم هذه على قدرة المدينون في الوفاء بالتزاماته، وبمـا انه ليس كل من اشـترى العقارات له القدرة نفسـها على الوفاء، فإنه ليست كل السـندات سواسية، فالسندات التي تم التأكد من قدرة الوفاء بها سـتكون مصنفة من الدرجة الأولى، وستكون هناك سندات لا قيمة لها بسبب العجز عن الوفاء بهـا، ولتلافي هذه المشـكلة قامت البنوك تعزيز مراكز السـندات عن طريـق اختراع طريقة جديـدة للتامين بحيـث بقـوم حامل السـند بدفع رسوم شهرية كي تضمن له شـركة التامين سداد قيمـة السـند إذا أفلـس البنك أو صاحب العقار، الأمر الذي شجع المسـتثمرين في كافة أنحـاء العالم على اقتناء المزيد من هذه السندات.

وفي النهاية توقف الكثير من مشتري العقـارات بالتقسـيط عن دفع الأقسـاط الشـهرية والفوائد المتراكمة والمتزايدة للبنـوك عـن الدفع، وبدأ يجـر وحدا تلو الآخر مما جعل السندات تفقد قيمتها في السوق وأفلست كبرى البنوك الاستثمارية وصناديـق الاسـتثمار المختلفـة أمثـال ((Lehman Brothers رابـع اكبر بنك في الولايـات المتحـدة الأمريكية)، أما المسـتثمرين الذين اشتروا السندات فقد حصلـوا التأمين على سـنداتهم كاملة، فنتـج عن ذلك تلاشـي واختفـاء كبرى شـركات التأميـن (IAG)، ونتيجـة لذلك كله شـحت السـيولة لـدى البنوك وشـركات التأمين ذات العلاقة مما اثر على كل من له علاقة بهم من بنوك دولية ومحليـة والشـركات التـي تتعامل معهم في عمليات الإيداع والحوالات والمقاصة وخطابـات الضمان والحسـابات الجارية الأمر الذي سـبب مشكلة كبيرة للكل

وبدأت بوادر الكساد الكبير بالظهور فاختفى وتلاشت البنوك واحدا تلو الآخر وبدأ الهلع وتراجعت أسواق المال داخل الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها.

علاج الأزمة وصراع النظريات

وبعد ما أصبحت الأزمة الاقتصادية حقيقة لابد من الكل ان يتقبلها بدأت الحكومة الأمريكية في التفكير بحلها من خلال ضخ مبلغ (٧٠٠) مليار دولار لتلك البنوك والمؤسسات المالية لمعالجة نقص السيولة الحاد عن طريق وزارة المالية و مجلس الاحتياطي الفيدرالي وهو تدخل واضح وصريح في القطاع الخاص من قبل الدولة التي هي رمز الرأسمالية غير المقيّدة (المنفلتة) التي تلتزم حرفياً بمبدأ الحرية الاقتصادية المطلقة لآدم سميث (Adam Smith) (دعه يعمل دعه يمر)، تاركة (لليد الخفية) أي قوى السوق تصحيح نفسها بنفسها، إذا بها تنقلب على معتقداتها الاقتصادية وتنتهج أسلوب جديد وهو أسلوب التأميم احد أساليب النظرية الاشتراكية لإنقاذ وحدات الاقتصاد من الانهيار، وقد أثار هذا الموضوع رفض واستهجان نصف أعضاء الكونكرس الأمريكي تقريبا حيث أيد خطة حل الأزمة (٢٢٨) عضوا وعارضها (٢٠٥) عضوا في أول تصويت على خطة الإنقاذ، بسبب إيمانهم المطلق بنظريتهم وأيضا كي لا يتبعوا الدول الأوروبية وبالذات الكبيرة منها كفرنسا وألمانيا وبريطانيا التي غيرت من قواعد وتطبيقات النظرية الرأسمالية إلى ما يسمى تطبيقات النظرية الاشتراكية الحديثة القائمة على ما يسمى بالاقتصاد الواقعي الذي يدعم وبشكل كبير التوجهات الاجتماعية للاقتصاد، بمعنى أن الدولة تتدخل في الاقتصاد الكلي لمصلحة الاقتصاد الجزئي أي اقتصاد الفرد ورفاهيته.

وبعد إقرار خطة الإنقاذ قد يسال البعض من أين حصلت الحكومة الأمريكية على مبلغ (٧٠٠) مليار دولار؟ وهي تعاني من عجز في الميزانية وارتفاع حجم الدين الخارجي خصوصا للصين (٤٥٠) مليار دولار، ان المصدر الرئيسي للأموال التي تم ضخها في تلك المؤسسات المالية هي أموال المواطنين، دافعي الضرائب وبذلك ارتكبت الحكومة الأمريكية خطأين مزدوجين جراء السياسة التي انتهجتها لمعالجة تلك الأزمة. الأولى حينما قامت بالتستر على الجريمة التي ارتكبتها تلك الشركات في حق اقتصاد العالم ككل وفي حق مساهميها بإهدار أموالهم بدلا من أن تقدم مسؤوليها للقضاء لينالوا عقابهم العادل، و الثانية حينما قامت بتوظيف أموال المواطنين، دافعي الضرائب، لمساعدة تلك الشركات للخروج من أزماتها.

وأخيرا وليس آخراً يرى بعض المتتبعين لهذه الأزمة ان مكمن الخلل ليس في النظرية الرأسمالية بل في تطبيقها، فقد تحول الاقتصاد الأمريكي خصوصاً مع اتساع نطاق عولمة الأسواق المالية العالمية إلى اقتصاد تغذيه المضاربات ذات العمليات المعقدة التي من صورها ما تسمى بالمشتقات المالية والتظهير المتوالي للمديونيات على نمط تظهير الكمبيالات في الممارسات التجارية

التقليدية، فكأنما أصبحت الرأسمالية الأمريكية رأسمالية مقامرة.

أزمة مفتعلة

موضوع الأحداث والأزمات العفوية والغير متنبأ بها قد يكون مقنعا في دول العالم الثالث والدول ذات الاقتصاد غير النامي بالشكل الذي عليه الولايات المتحدة الأمريكية، لكن موضوع ان أمريكا لم تكن تحسب لهذا الحدث حساب أو كانت تحسب له حساب ووقع دون إرادتها يبدو شيء بعيد عن المنطق وإدراك العقل، فقد قال أستاذ الاقتصاد الأميركي الفائز بجائزة نوبل ٢٠٠١ ان (ما هو محزن تماما في الأزمة الحالية هو أن التنبؤ بها كان قائما، وبالتالي كان ممكنا تفاديها)، وعلى كل حال كل شيء اليوم يحسب بالمنافع والمضار، لو حسبنا مقدار المنفعة التي حققها الاقتصاد الأمريكي من هذه الأزمة سنجد إجابات واضحة على تساؤلاتنا ومصداق لتكهناتنا.

لقد شهد النظام الرأسمالي مرات عديدة سلسلة أزمات دورية كان يخرج منها دوماً ليس فقط سالماً، بل أقوى؟ أليست الأزمات هي تعبير عن السر الكبير الذي يمنح النظام الرأسمالي طاقته الهائلة على التجدد والانبعاث (كما مع مصاصي الدماء الذين يقومون دائماً من الموت)، وعلى حد تعبير ماركس هو(التدمير الخلاق)، فبعد كل من أزمات (١٩٧١، ١٩٢٩، ١٨٧٦ ١٩٩٧- ٢٠٠١، ١٩٩٨) كان النظام الرأسمالي يثبّت أقدامه بعدها بشكل أفضل، كما ثمة من يضيف أن الأزمة الحالية قد تكون مفيدة وضرورية لإعادة بناء النظام المالي العالمي على أسس جديدة متوافقة مع طابعه الدولي الجديد ومع متطلبات العولمة. وبالتالي، فلننتظر مرور عاصفة (التدمير الخلاق) الراهنة لنرى ما الذي سيأتي بعدها.

فهشاشة الوضع المالي الأمريكي المستندة إلى الاختلال في الهيكل الاقتصادي والمتجسدة في عجز الحساب الجاري والموازنة وتغذية النمو من خلال الشره الاستهلاكي المستفحل على حساب الادخار الوطني، وتزايد معدلات التضخم وارتفاع الدين الخارجي وعجز مستمر في الميزانية، كلها أسباب كافية للتدمير الخلاق.

واليوم نتحدث عن أزمة حدثت في بلد لا نقول عنه لديه رغبة استعمارية أو حب للهيمنة فقد تكون هذه العبارات قاسية ولكن عبارة (البلد الطموح) أكثر تحضر !

هذا الطموح يدفعهم أحيانا للتدخل عسكريا (متبرعين) لحل النزاعات وفرض النظام تحت غطاء الأمم المتحدة وأحيانا يصّدر ثقافته وفكره ويجعلها الثقافة الأولى في العالم، من الطبيعي ان نجد لديه الرغبة والطموح في ربط اقتصاد العالم باقتصاده، فالأزمة عندما حصلت انهارت أسواق العالم من الصديق وغير الصديق، ففي روسيا انخفض مؤشر سوق الأوراق المالية بنسبة ٨٪ اثر الأزمة فكيف بالمجموعة الأوربية ودول شرق آسيا؟

وهناك سؤال يطرح نفسه وهو ان الأزمة لو كان مصدرها المجموعة الأوربية هل يتأثر الاقتصاد الأمريكي

بنفس القوة والتأثر التي تحدثها الآن الأزمة الأمريكية في المجموعة الأوربية؟

لقد قال احد الخبراء الاقتصاديين إن الاقتصاد الأمريكي يعتبر الاقتصاد الرئيسي الذي تعتمد عليه اقتصاديات العالم، وأن أي خلل في هذا الاقتصاد سينعكس سلبا على اقتصاديات الدول التي تعتمد على الدولار الأمريكي كعملة ربط لعملتها المحلية وأن استمرار هذه الأزمة قد يقود إلى تدهور الاقتصاد العالمي في حالة ركود الطلب، وعملية الركود هذه قد تؤدي إلى تراجع في معدلات أسعار النفط وتراجع أسعار العملات أمام الدولار حال استمرارية هذه الأزمة وهذا ما حصل بالفعل.

النظرية الاقتصادية الإسلامية والأزمة العالمية

البعض يتساءل (ما هو رأي الاقتصاد الإسلامي في هذه الأزمة؟)، على الرغم من ان النظرية الإسلامية لم تطبق لحد الآن في أي دولة إسلامية.

في تقديرنا ان النظرية الإسلامية لو كانت مطبقة بشكل صحيح و حرفي في الولايات المتحدة الأمريكية (نظرية سليمة وتطبيق سليم)، لما حصلت هذه الأزمة أو غيرها من الأزمات، لان ديننا الإسلامي يحث على السعي نحو الخير والمساهمة في حل مشكلات البشرية، والإسلام ينفرد بسياسة اقتصادية متزنة متميزة لا ترتكز أساسا على الفرد ولا على المجتمع، وإنما قوامها التوفيق والمواءمة والموازنة بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع، فضلا عن ان حرية الإنتاج مكفولة في الإسلام، غير أنها ليست حرية مطلقة، بل مقيدة بما أحلّ الشرع وحرّم، والنشاط الاقتصادي تحكمه أساسا الرقابة الذاتية النابعة من الضمير الإنساني الحي الناشئ عن القيم الروحية والأخلاقية، ولكنه يحتاج إلى حماية وصيانة يتعاون في تحقيقها الأفراد والجماعة التي تمثلها الدولة ولكن على أسس معينة، وتدخل الدولة يكون قائما على العدل وليس تسلطا أو استبدادا، ولا يعني التدخل إلغاء الحريات واحتكار النشاط الاقتصادي، ولا تتدخل الدولة إلا لدفع ظلم وقع أو إقامة عدل مهدد أو تقديم عون لازم أو جلب مصلحة عامة أو دفع ضرر، وبذلك فإن تدخل الدولة يضيق ويتسع تبعا لمستوى السلوك الخلقي والتزام تعاليم الإسلام (القوانين والتشريعات)، ويلزم تدخل الدولة في مجال العمل والإنتاج لمنع بيع الضرر بجميع أشكاله، واستغلال النفوذ والغش والاحتكار، كما يلزم الدولة مساءلة المقصرين.

إذا هي فرصة أن يدرك المسلمون أهمية الاقتصاد الإسلامي في المشاركة في تأسيس اقتصاد عالمي متوازن، وكما يقول المستشرق الفرنسي (Raymond Sharill) (إن الإسلام رسم طريقا متميزا للتقدم، فهو في مجال الإنتاج يمجد العمل ويحرم مختلف صور الاستغلال، وفي مجال التوزيع يقرر قاعدتين (ولكل تبعا لحاجته) كحق إلهي مقدس، تكفله الدولة لكل فرد (ولكل تبعا لعمله) مع عدم السماح بالتفاوت الشديد في الثروات والدخول)، وسمى (Jack Astry) الاقتصاد الإسلامي)

بالمذهب الاقتصادي الإسلامي، وأن هذا المذهب سيسود العالم لأنه أسلوب كامل للحياة)، وان هذا ما سيسود فعلا إنشاء الله وفق عقيدتنا الإسلامية كشيعة لأهل البيت عليهم السلام.

الأزمة والعراق

العراق حاله حال أي دولة في العالم تأثر بالأزمة الاقتصادية لكنه تأثر جزئي من خلال هبوط أسعار النفط العالمية وهو هبوط كبير قياسا بالأسعار التي كانت سائدة ما قبل الأزمة وبالتالي انخفاض وارداته النفطية، لكن الملفت للانتباه هو عدم تأثر سعر صرف الدولار بالدينار العراقي وعدم تأثر المصارف، لكن الأكثر لفتا للأنظار هو ارتفاع مؤشر سوق العراق للأوراق المالية بنسبة ٣٩٪ حيث لم يشهد السوق ارتفاعا بهذا الحجم من قبل، وهذا قد يبدوا غريبا للوهلة الأولى لكن نحن نعوله لعدة أسباب، الأول هو عدم تأثر العراق بالعولمة بصورة مباشرة في الاقتصاد فلا توجد شركات متعددة الجنسية ولا ترتبط مصارفنا مع مصارف الغرب بتعاملات مصرفية أو استثمارية، والسبب الثاني هو عزوف الكثير من المستثمرين العراقيين خلال هذه الفترة من الاستثمار في الخارج ونقل استثماراتهم للعراق من خلال إقبالهم على سوق العراق للأوراق المالية وهذه توجهات ورغبات اغلب المستثمرين المغتربين ليس فقط العراقيين بل حتى العرب بدؤوا بالعدول والاستثمار في بلدانهم ودليل على كلامنا هذا ما صرح به الأمير الوليد بن طلال رقم (١٩) في قائمة أغنياء العالم حيث ركز على انه سينقل اغلب استثماراته للمملكة العربية السعودية بعد هذه الأزمة.

لقد سار العراق على سياسة مالية ومصرفية معتدلة رغم الهزات التي تعرض لها فحافظ على سياسته المصرفية بما يتلائم والاتفاقيات الدولية خصوصا في أسعار الفائدة ونسبة القروض إلى الأصول، حيث كل المصارف اليوم تلتزم بنسبة ٥٠٪ كحد أعلى في منح القروض نسبة للرهن العقاري المقدم لها من قبل المقترض، ولم تتجاوز نسبة الفائدة ٢٠٪، وحرصت المصارف العراقية على التأكد من كفاءة المقترض من الإيفاء بالتزاماته قبل منح القرض ■

علم التاريخ..
وأهميته في الحياة

الشيخ حسن كريم الربيعي •

ينابيع يعد علم التاريخ من العلوم المهمة في الحقل الإنساني، فهو كفيل ببيان الأحداث الزمانية والمكانية لمجمل الحضارات العالمية، ولكن من أين تأتي أهميته؟

يبدو من تتبع الأحداث الزمانية والمكانية وشخوصها ليس الترديد لها أو التسلي بها وجعلها حكايات ماضية نحفظها ونتلذذ بذكرها كترف فكري تحلو به المجالس، كل هذا ليس له أهمية تذكر ولا هدف له، لذلك تنبه العلماء في هذا المجال المهم من صياغة علمية بالتحليل والاستنتاج ونقل العبرة للأجيال ومحاولة تجاوز أخطاء الماضي بالنظرة العلمية لأحداث التاريخ بالبحث عن أصوله وأسباب تكونه والعظة من كل ذلك، وهي ثقافة أيدها الإسلام فقد ذكر في مجموعة من الآيات القرآنية والتي عرفت بالقصص القرآني وهي أحداث تاريخية ذكرها القرآن الكريم للعظة والاعتبار في الحياة الدنيا.

فهناك الكثير من الآيات القرآنية التي ذكرت الأقوام البائدة سواء من

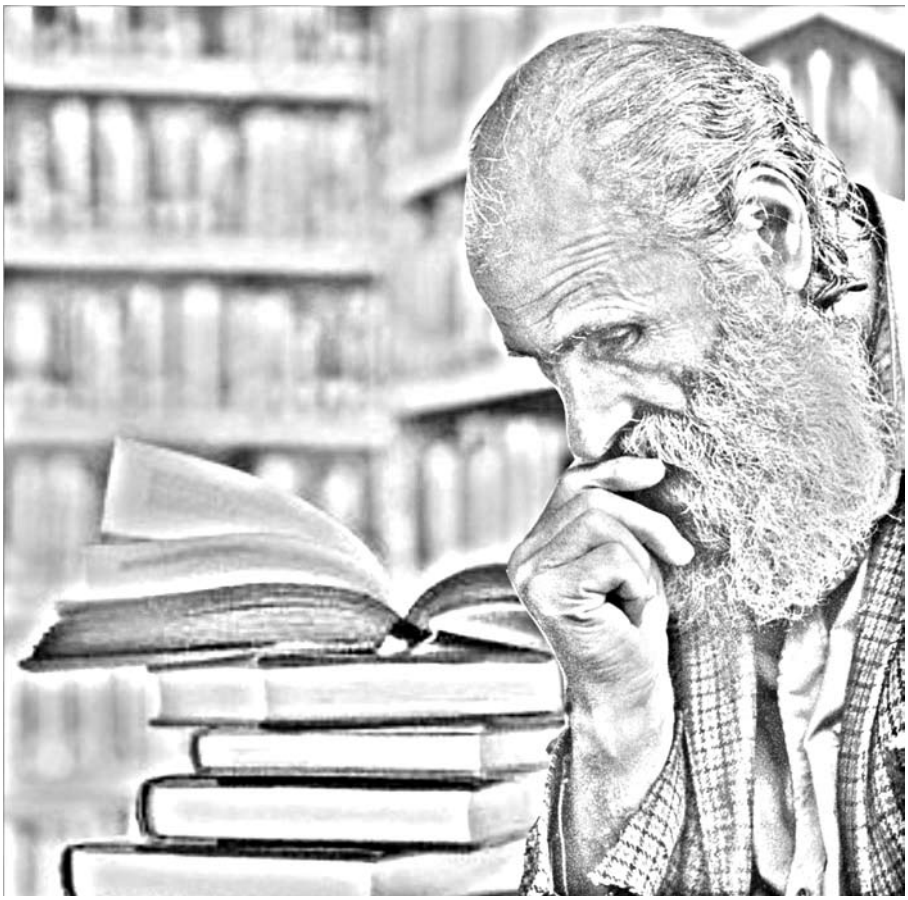

المؤمنين أو غيرهم ممن عصوا أوامر الرسل والأنبياء فكانت عاقبتهم الخسران في الحياتين، ومن هذا نفهم أهمية علم التاريخ وما يصل إليه ممن يقوم بالعملية التحليلية للأحداث العالمية بشكل عام والأحداث الإسلامية بشكل خاص وتتأكد الأهمية بمعرفة أحداث السيرة المعصومية التي يحتاج إليها المسلم لمعرفة حركة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثم حركة المعصومين عليهم السلام في المجتمع وتعاملهم مع الحياة كل حسب عصره.

وهذه الحركة يتكفل ببيانها علم التاريخ بعد التحليل والبحث عن عناصر القرب من الحقيقة بأدلة عقلية ونقلية وقد يجري على الرواية التاريخية ما يجري على الرواية الحديثة من حجية خبر الواحد بالنظر إلى السند والمتن وربما أجزم أن المعرفة التاريخية مكملة للمعرفة الرجالية في هذا الموضوع أي تقييم الشخصية التاريخية والخروج بنتيجة هي أقرب للصحة إذا اعتمد على جانب واحد.

إن علم التاريخ أصبح من ضرورات الدراسات الإنسانية بل هو أهمها لما

لـه من علاقة بالحيـاة أو علاقته بالعلوم الأخـرى التـي تبحث عـن تاريـخ العلم بل إنـه دخل في تاريـخ المفهوم وتطور المصطلـح وغيرهـا، لذلـك أطلق على هذا العصر عصر التاريخ.

التاريخ لغة واصطلاحاً

عرفه السـخاوي (ت ٩٠٢هـ): فقال: (التاريخ في اللغة الإعلام بالوقت، يقال أرخـت الكتاب وورخته أي بينت وقت كتابته)[١].

واختلـف فـي أصل لفظـة تاريخ بين العبرية والأكدية والفارسـية والعربية، ورجـح بعـض الباحثيـن على أنهـا ذات أصـل عربـي[٢]، وفيـه لغتان وقـد فرق الأصمعي (ت ٢١٥هـ) بينهما بقوله: (بنو تميم يقولـون ورخت الكتاب توريخاً، وقيس تقول أرخته تأريخاً)[٣].

يبدو أن اسـتعمال الأول لهذه اللفظة مـن قبل العرب المسـلمين كان لمعنى التوقيـت والتقويـم[٤]، وعنـد تتبع هذه اللفظة التي تشـير إلـى الوقت أي زمن الحـدث كان التاريـخ يعـرف بالحدث المهم فيعلم الوقت به.

أما التعريف الاصطلاحي فقد تطور كمفهوم بين عدة تعاريف كان أقدمها بحدود علمـي من خليفة بـن خياط (ت ٢٤٠هـ) مروراً بالسـخاوي وابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) والذي عرفه أحسن التعاريف بقوله:(فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شـريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضيـن من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم)[٥]، في حين عرفه السخاوي (ت ٩٠٢هـ): (إنه فن يبحث فيه عن وقائع الزمـان من حيثية التعييـن والتوقيت بل عمـا كان في العالم)[٦]، يعني تسـجيل هذه الوقائع والأحداث وتعيينها بالزمان والمكان.

يذكـر كولنجـوود: (إن التاريـخ نوع من أنـواع البحث العلمـي)[٧]، الذي يهـدف لكشـف الحقائـق وهـذه ميزة العلـم والتاريـخ علـم وهـو يبحـث عن جهود الإنسـان أو الأعمـال التي قام بها في الماضي[٨].

وقـد فـرق بيـن التأريـخ (بالهمزة) والتاريـخ (بالألـف اللينـة) فقالـوا إن التأريـخ (بالهمـزة) يطلـق على دراسـة الماضي، والتاريـخ (بالألف اللينة) على الماضـي ذاته وهـذا غير واضـح البيان بحيث يؤدي إلى التفصيل ولكنه حسب الاسـتعمال الشائع وهو واقع في اللغات الأجنبية الكبرى[٩].

موضوعه وغايته

أمـا الموضـوع فالإنسـان والزمـان ومسـائله أحوالهما المفصلـة للجزيئات تحـت دائرة الأحوال العارضة للإنسـان وفي الزمان[١٠].

وذكروا أن موضوعه حوادث البشر في الزمن الماضي[١١]. وأما غايته: معرفة تلـك الحـوادث ووقوعهـا فـي الزمـان والمكان والأسباب والنتائج[١٢].

فـائدته

لعلـم التاريـخ فوائد جمـة وفي عدة مجـالات علميـة ففي الفقه بتتبع سـيرة المعصـوم عليه السلام ومعرفـة الأحـكام الشـرعية وفي علم الحديـث في معرفة الـرواة وحتـى فـي صـدور الحديـث

واختلافه مع غيره أو هو باب التعارض بين الروايات وكذلك في الأنساب وفي شتى العلوم الإنسانية يدخل التاريخ كمعرفة ضرورة للحياة العلمية والنظم الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية والاعتقادات والتقاليد الدينية والمذاهب والأساليب الأدبية والفنية[١٣]، كل هذا من خلال موضوعه وغايته.

التاريخ في القرآن والسنة

إذا قلنا إن آيات الأحكام خمسمائة آية فقد تتجاوز آيات التاريخ آيات الأحكام وتصل إلى أكثر من ألف ومائتي آية (١٢٠٠)[١٤]، وقد سلك القرآن الكريم كمنهج في بيان الأحداث بعدة أشكال يهدف منها العبرة والعظة والتحرز من الوقوع بما حصل لتلك الأقوام فهو يصور لنا قصص الأنبياء والمرسلين ومسيرة حياتهم ودورهم في صناعة التاريخ وتوجيهه وأحداث الأقوام البائدة وما جرى عليهم، فالحدث التاريخي في القرآن الكريم له علاقة بالنواميس الطبيعية وسيرة البشر من حيث الاختيار والإدارة[١٥].

وكل هذا يشكل دراسة للمستقبل ونظرية للمتقدم إذا تمعنا بالآيات التي تصور جريان هذه الأحداث بهذا الشكل الدقيق لمسيرة البشرية ورسم مستقبلها ونهاية تاريخها بإقامة حكومة العدل الإلهي وحتمية ظهور المصلح التي تراها واضحة في آيات القرآن الكريم، قال تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)[١٦]، وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)[١٧]، والعديد من الآيات القرآنية تتحدث عن نظريات علمية أصبحت اليوم محور الدراسات التاريخية لها أصل في القرآن الكريم، فقد استوعب القرآن الكريم جملة من التفسيرات للأحداث التاريخية وذكر عللها وقواعدها بإيراده الحدث وأسبابه ونهوضه وانهياره وقد كتب العديد من الباحثين في هذا المجال المهم وهو يحتاج إلى المزيد من البحث والتقصي عن الرؤية المستقبلية للإسلام وحتمية الظهور ونظرية التقدم.

أما السنة الشريفة فقد نقل عن الرسول ﷺ قوله: (من أحب شيئاً أكثر من ذكره والمرء مع من أحب ومن أحب قوماً حشر معهم)[١٩]، وفيه دلالة على الذكر وهو تاريخ الشيء وإلا كيف يذكره ويحبه والحشر مع الأقوام أي معرفة تاريخهم وأعمالهم في

الحياة الدنيا حتى يحشر معهم ويحبهم، ونقل أيضاً: (من ورخ مؤمناً فكأنما أحياه، ومن قرأ تاريخه فكأنما زاره، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً)[١٩]، أي نشر الفضائل والابتعاد عن الرذائل بذكر المؤمنين ومعرفة سيرتهم وسيرتهم المتشرعة فإن نشر فضائلهم وأعمالهم إحياء لهم بل اعتمد عليها في باب المصادر الثانوية للتشريع.

وفي باب الوصايا لأمير المؤمنين عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام يذكر فيها أهمية التاريخ والتدبر في الأحداث الماضية ويأمر ابنه عليه السلام بالأخذ بهذه المهمة واعتبارها المسار الحقيقي للحياة، فقال عليه السلام: (واعرض عليه أخبار الماضين، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين)[٢٠]، من هذا النص تأتي أهمية النظر في التاريخ بل تشجيع للكتابة فيه وإلا كيف نعرف أخبارهم بلا قراءة كتب التاريخ ومعرفة سير الأولين لأخذ العبرة والعظة بالنظر لتلك المسارات الحياتية المتشعبة لأن المصير واحد وهذه هي فلسفة الحياة والوجود لذلك.

قال عليه السلام نتيجة للنظر في أخبارهم المصير المحتوم (وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم)[٢١]، (فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة وحلوا ديار الغربة)[٢٢]، ومن معرفة ذلك يصلح المرء مثواه ويهتم بآخرته قبل دنياه لذا قال عليه السلام: فأصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك)[٢٣]، يعلم ذلك من أخبار الماضين وما عملوه وأسباب ونتائج القوة والضعف والإيمان والفسق والعلم والجهل والشجاعة والجبن والكرم والبخل، فإن الحياة تسجل في صفحاتها المواقف ثم يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته: (أي بني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم)[٢٤]، من هذا النص نفهم كيف ننظر إلى التاريخ فقد أشار عليه السلام إلى عدة مراحل وهي كما يأتي:

١- النظر في الأعمال.
٢- التفكر في الأخبار.
٣- السير في الآثار وهي إشارة للاقتداء بالرسول صلى الله عليه وآله أولاً وبغيره ممن تبعه ولحق به وسار على منهجه لذلك كان يردد أسماء أصحابه مثل عمار بن ياسر وأبي ذر الغفاري وسلمان المحمدي وهاشم المرقال وغيرهم الذين سبقوه بالشهادة.

وهذه النتيجة بعد النظر والتفكر يقول عليه السلام: (بل كأني بما انتهى إليّ من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره)[٢٥]، ومن آخر هذا النص يعطي أمير المؤمنين عليه السلام الفائدة العظمى من فحص الأعمال والأخبار والخروج بنتيجة واحدة هي التميز وبيان الأصلح للاقتداء فإن التاريخ فيه الصافي والكدر والمهم منه التحليل والاستنتاج لذا قال عليه السلام لابنه: (فاستخلصت لك من كل أمر نخيله (المختار المصفى) وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله)[٢٦]، ومن هنا يعلمنا أمير المؤمنين عليه السلام طرق علاج الأخبار.

بالرجوع للمراح التي ذكرناه من

وصيته وهي من أهم أعمال الباحث العلمي في التاريخ بعد التجرد للحقيقة التاريخية ونقلها كما هي على أن يكون التاريخ من العلوم التي تحيي الذات الإنسانية نحو الفضيلة والمكارم الأخلاقية بسرد الأحداث كما هي صالحة أم طالحة وبعرضها على اللبيب يحصل الفرز والتحقيق ثم التحليل والاستنتاج لما يخدم الإنسانية من ويلات الطغاة وإضرارهم بالحياة وهي استفهام الملائكة عن الفساد في الأرض في محاورة قرآنية بين الله وعز وجل وملائكته هذا الخير وذاك الشر يجليه التاريخ للأجيال فيعملوا فيه النظر والتأمل واختيار الأصلح والابتعاد عن طرق الأشرار ومكائدهم.

من هذه النصوص التي ذكرناها على قلتها نفهم أن أمير المؤمنين عليه السلام كان (يتعامل مع التاريخ باعتباره حركة تكون شخصية الإنسان الحاضرة والمستقبلية)[٢٧]، ومنه تأتي أهمية دراسة التاريخ دراسة واعية برؤية مستقبلية فإن التسلح بالوعي التاريخي هو رصيد الأمة للنهوض والتقدم مع العظة والعبرة لأحداث الماضي وهو ما ينفع الفرد والجماعة في هذه الحياة بنشر تاريخ الأنبياء والأئمة والعلماء والصلحاء والحكماء وتربية الناشئة على هذا المنهج الذي يحصن الإنسان من زلات هذه الحياة ■

---

(١) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق: فرانز روزنثال، ترجم التعليقات د. صالح أحمد العلي، بيروت: دار الكتب العلمية، بلا، ص١٤.
(٢) صائب عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، بيروت: الغدير، ١٤٢١هـ، ص١٣.
(٣) السخاوي، الإعلان، ص١٥.
(٤) جميل موسى النجار، فلسفة التاريخ مباحث نظرية، بغداد: المكتبة العصرية، ٢٠٠٧م، ص١٣.
(٥) عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن الكريم، بيروت: دار الهادي، ١٤٢٤هـ، ص٢١.
(٦) السخاوي، الإعلان، ص١٧.
(٧) كولنجوود، فكرة التاريخ، ترجمة: محمد بكير خليل، راجعه: محمد عبد الواحد خلاف، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨م، ص٤١.
(٨) المرجع نفسه، ص٤٢.
(٩) قسطنطين زريق، نحن والتاريخ، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٩م، ص١٤.
(١٠) السخاوي، الإعلان، ص١٧.
(١١) صائب، علم التاريخ، ص١٤.
(١٢) المرجع نفسه، ص١٤.
(١٣) قسطنطين، نحن والتاريخ، ص٥٥.
(١٤) محمود شاكر عبود الخفاجي، ملامح الفكر التاريخي في القرآن الكريم، قم: ثامن الحجج عليه السلام، ١٤٢٩هـ، ص١٤.
(١٥) المرجع نفسه، ص١٧.
(١٦) سورة الأنبياء/١٠٥.
(١٧) سورة الصف/٩.
(١٨) السخاوي، الإعلان، ص٥٣.
(١٩) المصدر نفسه، ص٥٤.
(٢٠) نهج البلاغة، صبحي الصالح، ص٥٣٧.
(٢١) المصدر نفسه، ص٥٣٧.
(٢٢) المصدر نفسه، ص٥٣٧.
(٢٢) المصدر نفسه، ص٥٣٧.
(٢٤) المصدر نفسه، ص٥٣٩.
(٢٥) المصدر نفسه، ص٥٣٩.
(٢٦) المصدر نفسه، ص٥٣٩.
(٢٧) محمد مهدي شمس الدين، حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام، قم: مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٥هـ، ص٣٣.

بين الدين والسياسة

محمد دعيبل •
كاتب وصحفي

ينابيع

إذا بحثنا عن مفهوم كلمة (الدِّين) في اللغة؛ وجدنا لها معاني كثيرة مختلفة، قد لا نخرج منها بطائل ولعل المعاني الكثيرة تعود في نهاية الأمر إلى ثلاثة معان تكاد تكون متلازمة، بل نجد أن التفاوت اليسير بين هذه المعاني الثلاثة مردُّه في الحقيقة إلى أن الكلمة التي يُراد شرحها ليست كلمة واحدة، بل ثلاث كلمات، أو بعبارة أدق: أنها تتضمن ثلاثة أفعال بالتناوب وبيانه: أن كلمة (الدِّين) تؤخذ تارة من فعل مُتعد بنفسه: (دانه يدينه)، وتارة من فعل متعد باللام: (دان له)، وتارة من فعل متعد بالباء: (دان به)، وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التي تعطيها الصيغة.

١ـ فإذا قلنا: (دانه دينًا) عنينا بذلك أنه مَلَكَه، وحَكَمَه، وساسه، ودبره، وقهره، وحاسبه، وقضى في شأنه، وجازاه، وكافأه. فالدِّين في هذا الاستعمال يدور على معنى المُلك والتصرف بما هو من شأن الملوك؛ من السياسة والتدبير، والحكم والقهر، والمحاسبة والمجازاة. ومن ذلك: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) أي يوم المحاسبة والجزاء. وفي الحديث: (الكَيِّسُ من دان نفسه) أي حَكَمَها وضَبَطَها. و(الديَّان) الحَكَم القاضي.

٢ـ وإذا قلنا: (دان له) أردنا أنه أطاعه، وخضع له. فالدِّين هنا هو الخضوع والطاعة، والعبادة والورع. وكلمة: (الدِّين للّه) يصح أن منها كلا المعنيين: الحُكم للّه، أو الخضوع للّه. وواضح أن هذا المعنى الثاني ملازم للأول ومطاوع له. (دانه فدان له) أي قهره على الطاعة فخضع وأطاع.

٣ـ وإذا قلنا: (دان بالشيء) كان معناه أنه اتخذه دينا ومذهبا، أي اعتقده أو اعتاده أو تخلَّق به. فالدِّين على هذا هو المذهب والطريقة التي يسير عليها المرء نظريًا أو عمليًا. فالمذهب العملي لكل امرئ هو

عادتـه وسـيرته؛ كمـا يقـال: (هـذا دِينـي ودَيْدَني). والمذهب النظري عنده هو عقيدته ورأيـه الذي يعتنقه. ومن ذلـك قولهم: (ديَّنت الرجـل) أي وَكَلْتُه إلى دينه وجملة القول في هـذه المعاني: اللغوية أن كلمـة (الدِّين) عند العرب تشـير إلـى علاقة بين طرفيـن يعظِّم أحدهما الآخر ويخضع له.

فـإذا وصـف بهـا الطـرف الأول كانت خضوعـا وانقيـادًا، وإذا وصف بهـا الطرف الثانـي كانـت أمـرًا وسـلطانًا، وحُكْمًـا وإلزامًا، وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفيـن كانت هي الدسـتور المنظم لتلك العلاقة، أو المظهر الذي يعبر عنها.ونستطيع أن نقـول: إن الامر بالجملة يـدور على معنى لزوم الانقياد، ففي الاسـتعمال الأول، الدِّين هـو: إلزام الانقياد، وفي الاسـتعمال الثاني، هو: التزام الانقياد، وفي الاستعمال الثالث، هـو المبدأ الـذي يُلتـزم الانقياد لـه. على أن المعنـى اللغـوي لا يعطينـا تمامًـا: المفهـوم الذي يعرفه الناس ويسـتخدمونه في أعرافهم ومصطلحاتهـم، وقـد عرّفـه بعـض العلمـاء الإسلاميين بتعريفات متقاربة.

فقال ابن الكمال: الدِّين وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عن الرسول. وقد يُتجوَّز فيه، فيطلق على الأصول خاصة، فيكون بمعنـى الملَّة، كما في قوله تعالى: (دِينـاً قِيَمـاً مِلَّـةَ إِبْرَاهِيم) واما السياسـة في اللغة: مصدر سَـاسَ يسـوس سياسـة. فيقال: ساس الدابة أو الفرس: إذا قام على أمرها من العَلَف والسـقي والترويـض والتنظيف وغير ذلك. وأحسب أن هذا المعنى هو الأصل الذي أُخذ منه سياسة البشر. فكأن الإنسان بعد أن تمرس في سياسة الدواب، ارتقى إلى سياسة الناس، وقيادتهم في تدبير أمورهم.

ولذا قال شـارح القامـوس: ومن المجاز: سُسْـتُ الرعيـة سياسـة: أمرتهـم ونهيتهـم.

وساس الأمر سياسة: قام به. والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه إذا عرفنا مفهوم كلمة (السياسة) لغة واصطلاحا، فينبغي أن نبحث عنها في تراثنا الإسلامي، وفي فقهنا وفكرنا الإسلامي، وفي مصادرنا الإسلامية ومن الواضح ان كلمة (السياسة) لم ترد في القرآن الكريم، لا في سورة مكيّة، ولا في مدنيّة، ولا أي لفظة مشتقة منها وصفاً أو فعلاً.

ومن قرأ (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) يتبين له هذا. ولهذا لم يذكرها الراغب في (مفرداته). ولا (معجم ألفاظ القرآن) الذي أصدره مجمع اللغة العربية. وقد يتخذ بعضهم من هذا دليلا على أن القرآن ـ أو الإسلام ـ لا يعني بالسياسة ولا يلتفت إليها. ولا ريب أن هذا القول ضَرْب من المغالطة، فقد لا يوجد لفظ ما في القرآن الكريم، ولكن معناه ومضمونه مثبت في القرآن.

مثال ذلك كلمة (العقيدة) فهي لا توجد في القرآن، ومع هذا مضمون العقيدة موجود في القرآن كله، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، بل العقيدة هي المحور الأول الذي تدور عليه آيات القرآن الكريم. ومثل ذلك كلمة (الفضيلة) فهي لا توجد في القرآن، ولكن القرآن مملوء من أوله إلى آخره بالحثّ على الفضيلة، واجتناب الرذيلة. فالقرآن وإن لم يجئ بلفظ (السياسة) جاء بما يدل عليها، وينبئ عنها، مثل كلمة (المُلك) الذي يعني حكم الناس وأمرهم ونهيهم وقيادتهم في أمورهم. وذكر يوسف الذي ناجى ربه فقال: (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ) وإنما قال من المُلك، لأنه لم يكن مستقلاً بالحكم، بل كان فوقه مَلِك، هو الذي قال له: (إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ) وممَّن ذكره القرآن من الملوك: ذو القرنين الذي مكَّنه الله في الأرض وآتاه الله من كل شيء سببا، واتسع مُلكه من المغرب إلى المشرق، وذكر الله تعالى قصته في سورة الكهف، مثنيا عليه.وفي مقابل هذا ذم القرآن المُلك الظالم والمتجبر، المسلط على خَلق الله، مثل: مُلك النمروذ، الذي حاجَّ إبراهيم في ربه أن آتاه الله المُلك. ومثل ذلك: مُلك فرعون (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ).

فهذا كله حديث عن السياسة بالمعنى المراد. وكذلك رويت نفس الصيغة (صيغة الفعل المضارع) عن الإمام علي عليه السلام فقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه وابن الجعد في مسنده: قال علي: يا أهل الكوفة! والله لَتَجِدُنَّ في أمر الله، ولتُقاتلُنَّ على طاعة الله، أو ليَسُوسَنَّكم أقوام أنتم أقرب إلى الحق منهم، فليعذبنكم ثم ليعذبنهم. وفي الواقع أن هناك مسألتين الأولى تفضي بان الدين يخدم السياسة وينتهج من منهجها والثانية أن السياسة هي التي تمتثل لأحكام الدين وتسير خلفه أي بمعنى أن الدين حاكما عليها وليس العكس لوجود علاقة تربطهما معا وهذا هو المنطق السليم خلافا للمسألة الأولى ولعل أدل دليل على هذه العلاقة نبينها للقارئ الكريم هو تقمصها بشخصية الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله فهو أول رجل دين وأول رجل سياسة في الإسلام وقد تكرر هذا الحال في خلافة سيد الأوصياء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ولو ثنيت الوسادة للائمة من بعده لكان كما هو الحال في خلافته عليه السلام كما سيتكرر ذلك في خلافة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) بعد ظهوره وتلك سنة الله فلن تجد لسنة الله تبديلاً ■

النجف الأشرف

عاصمة الثقافة الإسلامية

د. حيدر نزار السيد سلمان •
الكلية الإسلامية الجامعة

ينابيع لا تتم عملية اختيار المدن كعواصم للثقافة من غير مؤهلات وشروط لابد من توفرها في هذه المدنية وعلى رأسها تاريخية المدينة ودورها الحضاري ومشاركتها في بناء وتشكيل الفكر الإنساني وهكذا جاء اختيار مدينة النجف الأشرف كعاصمة للثقافة الإسلامية عام (٢٠١٢م) بوصفها مدينة مقدسة أدت أدواراً هامة على طول التاريخ الإسلامي ورفدت الإنسانية بأفكار ومشاركات عقلية كما هو حال المدن المهمة المساهمة في بناء الحضارة

الإنسانية.

فالنجف الأشرف بوجود الضريح المقدس لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وما ترتب على وجود هذا الضريح من قيام حوزتها العلمية ومقر المرجعية الدينية العليا كانت ولا زالت مثار اهتمام كل العالم وتحظى الأفكار الصادرة عنها بعناية لأنها تأتي متميزة ومؤثرة في تشكيل الرأي العام الإسلامي والحقيقة إن ما يصدر عن هذه المدينة المقدسة من آراء وفتاوى دينية تؤثر بشكل مباشر بالمؤمنين في كل أرجاء العالم الذين يتجهون بأسئلتهم واستفساراتهم وأنظارهم الى مقر المرجعية الدينية العليا لاستطلاع ما يصدر عنها من آراء حول القضايا الخطيرة في العالم لارتباطهم الروحي بها ولما تمثله هذه الآراء من اتزان وعقلانية وبذلك فقد تكونت الرؤية العامة لمدينة النجف الأشرف التي كان اختيارها عاصمة للثقافة الإسلامية عام (٢٠١٢م) كحالة وفاء لها واستذكاراً لتاريخها الطويل وتراثها المتراكم ولكن السؤال الذي يطرحه الكثيرون سواء من داخل النجف الأشرف أو خارجها ماذا تم إعداده واستحضاره لكي تخرج المدينة بما تستحق من صورة ومضمون؟ وما مدى حرص القائمون على إدارتها وفئاتها المثقفة ومراكز البحوث ودور الفكر ومدارسها وبيوتاتها العلمية والفكرية على إنجاح هذا الاختيار؟

ولكن قبل الدخول في مناقشة هذا الأمر وغيره لابد من التأكيد إن مدينة النجف الأشرف قد احتضنتها الصحراء الغربية وانقطعت عنها الأنهار من كل الجهات بينما استلقت المدن الأخرى على شواطئ الأنهار وهي في كل هذا أرض هضبية غير مزروعة لكن إرادة الله تعالى وحكمته المتعالية شاءت أن يكون لهذه المدينة قدسيتها وعلوها بين المدن فشرفها الخالق عز وجل ورفعها حين أراد إمامنا العظيم علي بن أبي طالب عليه السلام أن يكون ثراها لجسده الطاهر مدفناً وبالتالي مدفناً لشيعته ومحبيه وبفعل هذه الإرادة الإلهية تحولت النجف الأشرف من حالة الجدب والفقر والصورة الصحراوية الى مدينة للغنى والخير الوفير حيث رزقها يأتيها من كل مكان ولتصبح أرضها هي الأغلى والأندر يتقاطر للسكن فيها المؤمنون من كل حدب وصوب طلباً للثواب والشفاعة وتقرباً من مرقد أمير المؤمنين عليه السلام ويقدم إليها الناس أفواجاً وزرافات من كل عام وبالإضافة الى ما سبق فإن المدينة تضم العديد من المراقد المقدسة وكل هذا يرفع من مكانتها ويمنحها ميزات جديدة لابد من مراعاتها ووضعها موضع الاعتبار حين الإعداد لعامها المنتظر فالجهود لابد وأن تبدأ من الآن للبناء والأعمار والتطوير وإحياء تراثها واستعادة المفقود منه.

فتاريخ وتراث المدينة المقدسة الذي تعرض للتخريب والتلاعب زمن البعث البائد يشكل جرحاً في نفوس أهلها ومحبيها فعلى سبيل المثال فإن البعثيين قد دمروا سورها الذي كان يحميها بحقد وعداء رغبة بقطع صلتها بتراثها وهو ما أثار المنظمات الدولية المهتمة بشؤون الثقافة والتراث ونددت بأعمال التخريب تلك والآن فإن الواجب يحتم المحافظة على ما تبقى من آثار وتراث ممتد الى مئات السنين لكن الذي نلاحظه إن العبث بهذا التراث قد استمر الى أيامنا هذه وهو

الأمـر الـذي يمكن ملاحظتـه فيما جرى مـن عمليات هـدم وبناء داخـل أحد أروقة الصحن الحيدري الشريف إذ تم إزالة وهدم المنطقة الجنوبيـة المعروفة بجامع الرأس مـن السـور العلوي الشـريف والاسـتعانة بدل عنهـا بالكتل الكونكريتية وأطنان الحديد وجـرى تغيير معالم هذا الجزء من الصحن الحيدري الشـريف بطريقة لا تدل علـى روح الحفـاظ على التراث وقدسـية المـكان والحقيقة إن هـذا كله يثير في النفس الحزن والأسى ويبعث حالة من عدم الرضا لأن المساس بهذا الجزء التراثي قد تم بلا روية أو تقدير لقيمة الأشياء.

ثـم الأمـر الآخـر الذي يدعـو للحيرة مـا يجري مـن عمليـات إكسـاء للصحن الحيدري الشـريف واستبدال المرمر الذي عـرف به هـذا الصحن المقـدس بآخر تم جلبه من تركيـا عن طريق تجار إيرانيون وهـو لا يحمل تلك المواصفـات المعروفة عن المرمر القديـم وكان من المفروض أن تجلـب أرقى الأنواع لإكسـاء الصحن الحيـدري الشـريف وبالمقابـل فـإن فتح مكتبـة الروضـة الحيدريـة وتطورهـا المستمر يدعو للإعجاب والارتياح لتضاف الى سلسـلة المكتبات الكبيرة والفريدة التي تحويها عاصمة العلم والثقافة فالنجف الأشرف تفخر وتعتز بوجود نظام مكتبي رفيع المستوى كدلالة على خاصية المدينة العلميـة والثقافيـة وكونهـا منبعـاً لنشـر المعارف والحقيقة إن ذلك يدعو إلى إبراز هـذا الجانب المهم وذلك من خلال تطوير هذا النظام المكتبي ودعمه بالمستحدثات

التقنية والعلمية سواء من قبل الحكومة أو من قبل الجمعيات والمنتديات والمراكز المهتمة بالفكر والعلم والثقافة والآداب فالمكتبات النجفية تعد رمزاً للأهمية العلمية لمدينة النجف الأشرف ودور المرجعية الدينية العليا في إنشاءها ونشر الثقافة بين الجميع.

ثم يأتي دور البناء والإنشاءات التي لابد من توفرها للاحتفالات واستقبال ضيوف المدينة في عامها الثقافي وهذا يستدعي إنشاء القاعات والأماكن الخاصة بالثقافة ولعل عملية أعمار البيوت والمباني التراثية التي تشكل جزءاً من تاريخ المدينة يأتي من هذا الباب فهناك بيوت العلماء والمفكرين النجفيين لابد من أعمارها والأمر ينطبق على المنتديات والجمعيات التي توقف بعضها عن ممارسة نشاطه فأرشفة وتدوين وتوثيق تاريخ وتراث هذه المنتديات والجمعيات يتطلب تشكيل اللجان المختصة لتأخذ على عاتقها الجمع والبحث من الآن فهناك آلاف النشرات لإصدارات والمطبوعات والوثائق والصور التي تؤرخ لنشاط النجف الثقافي والأدبي ولرموزها العلمية فعشرات الصحف والمجلات قد صدرت على طول قرن من الزمان بعضها يلفه الضياع وبعضها في طريقه الى الاندثار إذا لم تجري معالجته بطريقة علمية وحفظه في أماكن خاصة وما يجري على الصحف والمجلات يجري على المخطوطات النادرة والتي تعد الخزين الاستراتيجي لمدينة النجف الأشرف ودليل عشقها للعلم والعلماء وجذور ثقافتها الممتدة الى بدايات قيام حوزتها العلمية.

أما مدارسها الدينية فهي الأخرى والتي تشكل منابع الثقافة النجفية ومصدر الإبداع فيها فإن إعادة أعمارها وإظهارها بشكل يؤكد قيمتها العلمية والتاريخية على أن يكون ذلك مترافقاً بتدوين وتوثيق أسماء وصور هذه المدارس وتاريخ إنشاءها والرموز العلمية التي درست فيها

النجف الأشرف من داخل السور.. صورة ترجع إلى العقد الثاني من القرن الماضي

وبغية تحقيق ذلك لابد من الإفادة من المهتمين بتاريخ المدينة وحوزتها العلمية والمختصين القادرين على إبراز الدور الريادي لهذه المدارس التي كونت اللبنات الأولى للثقافة النجفية باعتبار أن النجف الأشرف المدينة قامت على أساس ديني مقدس وهو الصبغة التي اصطبغت بها وتميزت عن غيرها من المدن فحتى أسماء الشوارع جاءت متوافقة مع هذه الصيغة ولذلك فإن هذه الشوارع لابد أن تستعيد ألقها وتظهر بالمظهر الحقيقي لها كشوارع وأزقة نظيفة ومرتبة ومنظمة والحقيقة إن الكثير من النجفيين وعشاق النجف يطمحون لتخليد المكونات الأولى للبيئة النجفية التي سكنها النجفيون الأوائل ونعني بها الأطراف الأربعة المحيطة بالصحن الحيدري الشريف.

فالحفاظ على هذا التراث المنبثق عنه هذا المجد الطويل والذي شهد أحداث مهمة وخطيرة وفي داخل هذه الأطراف ولد وعاش العلماء والمثقفون وقدموا علومهم للناس لتمتد الى أبعد مكان في العالم فتكونت سمعة المدينة العظيمة وراح العالم يحسب لرأيها حساباً فمن المناسب أن تتم استعادة هذا التراث وأعمار الأطراف الأربعة لتكون النجف الأشرف في حلة تجمع بين التراث والمعاصرة كما هو فكر علماؤها ورجالها البارزين الذين يجمع بين الاثنين.

وإذ نتحدث عن بعض الأسس والشروط الواجب توفرها حتى عام (٢٠١٢م) فإن ذلك لا يعني أن تقع المسؤولية على عاتق الجهات الحكومية وحدها بل لابد من تضامن وتكاتف وتعاون الجميع في هذا المجال خدمة لمدينة أمير المؤمنين عليه السلام فكل يعمل من موقعه ومكانه وقدرته وكذلك الحال بالنسبة للجمعيات والمنتديات والأندية التي يقع عليها جزء من هذه المهمة الكبيرة فالعمل والجهد والمثابرة المخصوصة بهذا الجانب تهدف إلى إبراز الدور المتميز والتنويري للنجف الأشرف ودفاعها عن الإسلام المحمدي الأصيل والقيم الروحية وفكر الاعتدال والتسامح وحفاظها على اللغة العربية من خلال مدارسها المنتشرة في كل أرجاء المدينة فهذا الهدف هو ما تحاول كل العواصم الثقافية إبرازه وإخراجه ليرى العالم الحقيقة.

فالنجف الأشرف ستكون في العام (٢٠١٢م) محطة لأنظار كل وسائل الإعلام والدعاية والنخب المثقفة وهنا يتم رصد كل حركة وما يشير إلى أهميتها ومن المؤمل أن تزور النجف الوفود والشخصيات العلمية والفكرية للإطلاع على هذا الصرح الإسلامي العالي فبدل العلم المرتبك الارتجالي لابد من التخطيط والإعداد الجيد من قبل المختصين لتكون كل الأمور تسير وفق الخطط موضوعة سلفاً وهذا يشمل ما يقام من مؤتمرات وندوات ونشاطات وما يقدم من بحوث ونتاجات فكرية والحقيقة الجميع ينتظر الوصول إلى عام النجف وهو ليس بالبعيد وفي هذا الخضم لا يجري شيء إلا الأحاديث والتصريحات ولم يبدأ أي مشروع يجسد تاريخ وتراث المدينة ولم يبدأ العمل بما يكرم ويشير إلى مكانة ورفعة رموز المدينة ويؤكد انجازاتهم والدعوة هنا إلى العمل الجاد بدل الأحاديث والتصريحات فلم تبقى إلا أوقات قصيرة تفصلنا عن الحدث الكبير ■

أجوبة مسابقة العدد (٢٥) وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: ج. حديث المنزلة

السـؤال الثـاني: أ. ٩ ذو الحجة ١٣٦٥

السـؤال الثالـث: ب. مفتاح الكرامة

السـؤال الرابـع: ج. الشهرستاني، الملل والنحل

السؤال الخامس: ب. الجامعة الكبيرة

السؤال السادس: ج. السيد رضا الهندي

السـؤال السـابع: أ. بشر بن الحارث

السـؤال الثامـن: ج. ستة

السـؤال التاسـع: ب. الذكوات البيض

الفائزة بالجائزة الأولى: خديجة عبد الأمير خلف/ بابل ـ المسيّب.

الفائز بالجائزة الثانية: عدنان سعيد كاظم/ النجف الأشرف ـ حي السلام.

الفائزة بالجائزة الثالثة: اشتياق زكري جواد/ كربلاء المقدسة ـ الهندية.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد

مسابقة العدد (٢٧)

١ لما بلّغ رسول الله ﷺ في يوم الغدير الحاضرين بما أنزل إليه هرعت الناس تبايع علياً عليه السلام أميراً لها، وبقي الرسول ﷺ في غدير خم مدة ليتأكد إتمام البيعة من الجميع، فكم مكث ﷺ هناك؟

أ ـ يومان

ب ـ ثلاثة أيام

ج ـ أربعة أيام

٢ كان وكيلاً للإمام المهدي عليه السلام ولشدة ورعه وثقته مدحه الإمام بحضور عمر بن سعيد قائلاً: «إن أحببت أن تنظر إلى رجل من أهل الجنة فانظر إلى هذا» فمن هو؟

أ ـ أيوب بن نوح النخعي

ب ـ جميل بن نوح النخعي

ج ـ سليمان بن خالد النخعي

٣ ليلة عظيمة من ليالي شهر ذي القعدة، في العشر الأواخر، قال فيها الإمام الرضا عليه السلام: «فيها ولد إبراهيم وفيها ولد عيسى من صامها كأنما صام ستين...» فأي ليلة هي؟

أ ـ ليلة ٢١

ب ـ ليلة ٢٣

ج ـ ليلة ٢٥

٤ «متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك عليها رقيباً» فقرة من دعاء للإمام الحسين رواه عنه بشر وبشير ابنا غالب الأسدي، ففي أي مناسبة كان هذا الدعاء؟

أ ـ يوم عاشوراء

ب ـ يوم عرفة

ج ـ يوم المبعث

كوبون مسابقة

ينابيع

العدد (٢٧) ذو القعدة ـ ذو الحجة ١٤٢٩هـ

الاسم الثلاثي:

	أ	ب	ج
جواب السؤال الأول			
جواب السؤال الثاني			
جواب السؤال الثالث			
جواب السؤال الرابع			

٥ (قَزَع الخريف)، صفة يطلقها الإمام الباقر عليه السلام على أصحاب الإمام المهدي عليه السلام الذين يلتحقون به عند دعوته لهم، فما معنى هذه الصفة؟

أ ـ شدة قوتهم

ب ـ هيئة قدومهم إليه كمجاميع متفرقة

ج ـ كثرة تعبدهم وتهجدهم

٦ السيد حسن الصدر من أعاظم علماء الطائفة، اشتهر بمؤلفاته القيمة ومنها تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، توفي سنة ١٣٥٤هـ، فأين دفن؟

أ ـ الصحن العلوي

ب ـ الصحن الحسيني

ج ـ الصحن الكاظمي

٧ زيارة من زيارات أهل البيت عليهم السلام، زار بها إمام إماماً آخر، جاء أولها على هيئة الزيارة وآخرها على هيئة دعاء، فما اسم هذه الزيارة؟

أ ـ زيارة أمين الله

ب ـ زيارة وارث

ج ـ زيارة الغدير

٨ **رأيت ولائي آل طه فريضة**
على رغم أهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث أجراً على الهدى
بتبليغه (إلا المودة في القربى)

من القائل؟

أ ـ جلال الدين السيوطي

ب ـ أبو حامد الغزالي

ج ـ شمس الدين ابن عربي

٩ عُرف بأبي عمارة، وكان من أخلص أعمام الرسول صلى الله عليه وآله، وعند جنازته صلى عليه سبعين ركعة، فمن هو؟

أ ـ الحمزة بن عبد المطلب

ب ـ الحارث بن عبد المطلب

ج ـ الزبير بن عبد المطلب

	أ	ب	ج
جواب السؤال الخامس			
جواب السؤال السادس			
جواب السؤال السابع			
جواب السؤال الثامن			
جواب السؤال التاسع			

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار.
يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* **الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط.**
* **يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات.**
* **آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/صفر/١٤٣٠هـ.**